نفحات نورانية لمعان إيمانية

إعداد

محمد هاشم العشيري

مكتبة الجندي

٥١ سوق أم الغلام - ميدان سيدنا الحسين

القاهرة - مصر ٠٢-٢٥٩٠١٥١٨

الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م

يطلب من الناشر

مكتبة الجندي

٥١ سوق أم الغلام - ميدان سيدنا الحسين

القاهرة - مصر ٢٥٩٠١٥١٨-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، عليه وحده نتوكل وبه تعالى نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نسأله تعالى العون والتوفيق، والعلم النافع، والعمل الصالح فهو جل شأنه، الهادي الرشيد والوهاب الودود الحميد والعليم الخبير الحكيم المجيد.

وصلوات الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه، على أسعد الخلق رحمته للعالمين حضرة النبيّ الأميّ الحبيب سيدنا ومولانا مُحَمَّدٍ وآله وصحبه وعلينا وعباد الله الصالحين أجمعين... آمين.

وبعد...

هذا الكتاب هو جمع لبعض ما أُلقي في الحضرات المحمدية، وهي لبعض هوامش من حقائق نورانيّة والتي تحمل في طياتها الكثير من أنوار اليقين والتقوى والإحسان لبعض المعاني الإيمانية..

ولعموم الفائدة للأحباب جمعناها في هذا الكتيب الموجز المختصر الذي يتضمن الفصول الآتية:

الفصل الأول: في حب ومحبة الله تعالى وتقواه ورضاه وحبِّ عبده وحبيبه سيدنا ومولانا محمد ﷺ نبيه ورسوله ومصطفاه.. هو فرض الفروض...

الفصل الثاني: بعض هوامش ولوامع الحقيقة حول بعض معاني وتعريفات في آيات القرآن الكريم وكتاب الله العزيز.

الفصل الثالث: بعض هوامش ولوامع الحقيقة حول الولاية والأولياء والعلم والعلماء..

الفصل الرابع: بعض هوامش ولوامع في تأكيد أهمية وشرف الأخوة في الله تعالى.

الفصل الخامس: العناصر السبعة اللازمة لبناء مكارم الأخلاق.

فصل الختام: بعض من حكم ابن عطاء الله السكندري (ﷺ) حول النية والعمل وبين الحقيقة والشريعة.

هذا وألتمس العذر مسبقا في أن محتوى ومضمون هذا الكتيب كان أسلوبه هو الإجمال والإيجاز والاختصار وكلها في إطار الشريعة على أساس من الكتاب والسنّة الصحيحة حتى تكون الطاعة لله تعالى ونبيه ورسوله الكريم ﷺ قلبا وقالبا، تقوى وإيمانا وحبًا وإحسانًا هي للوصول للطريق الصحيح لتزكية النفس وطهارة القلب في التأسي والاتباع والمحبة للحبيب ﷺ والذي هو المفتاح والباب الوحيد لحبّ ومحبّة الله تعالى بإذنه ونعمته وفضله تعالى وإحسانه ومنته.

ونسأل الله تعالى المعذرة والاعتذار والمغفرة فيما صدر وبه خطأ فهو من أنفسنا، ونحمده ونشكره على كل صواب فهو من هدُاه ورحمته وعطائه ووهبته تعالى، فالفضل والنعمة دائما منه وبه وإليه ولا حول ولا قوة إلا به نستغفره ونتوب إليه.

وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمدا وآله وصحبه وأحبابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

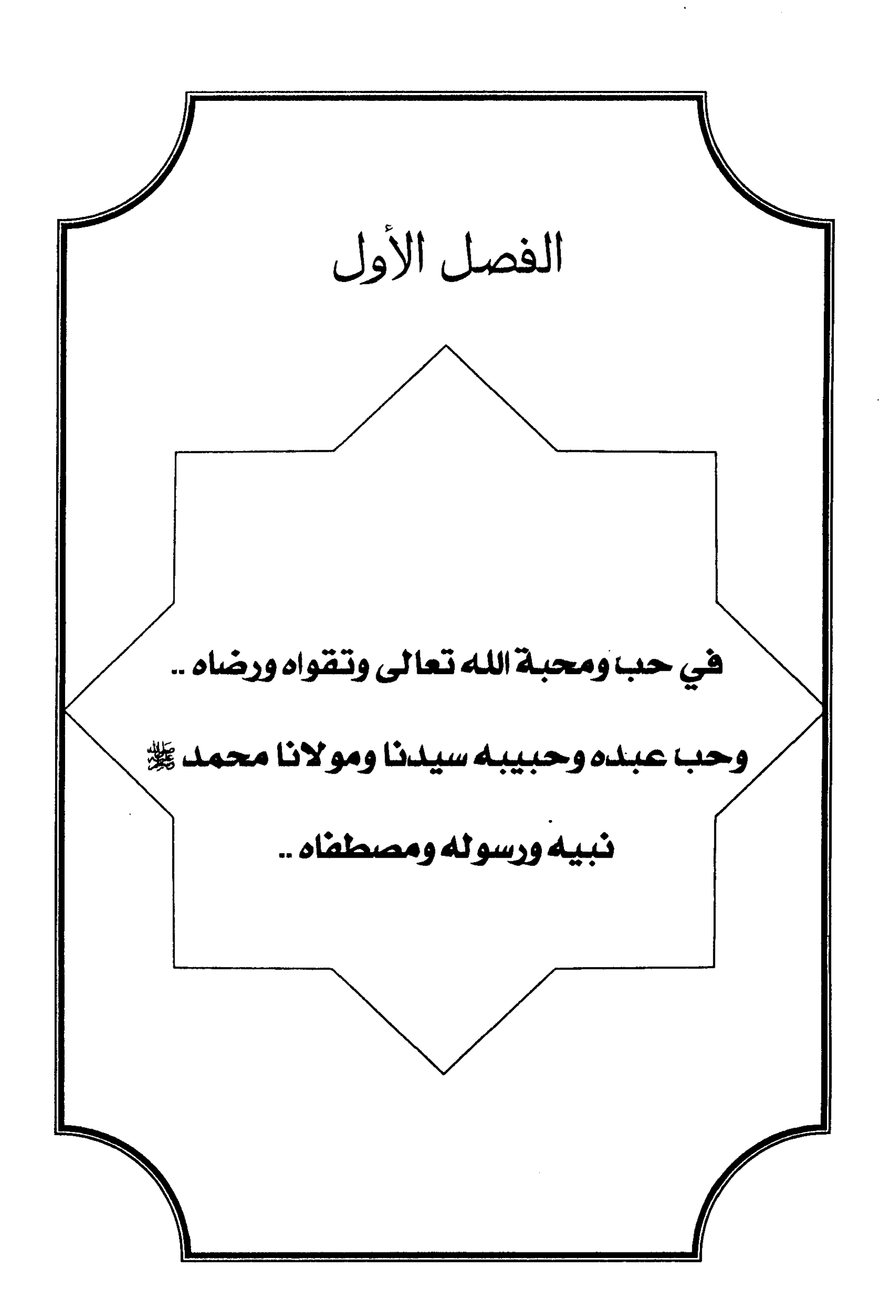
الجمعة: ١٤ شعبان ١٤٢٩
١٥ أغسطس ٢٠٠٨

الفقير والراجي لعفو الله وحبه تعالى وحبيبه ﷺ
محمد هاشم العشيري

ملحوظة:

طبع هذا الكتاب وهبة من الله إلى الله تعالى على روح الأخ في الله حسام عزب غفر الله له ورحمه وأسكنه فسيح جناته، اللهم اجعله مقبولا عندك كعلم نافع ينتفع به الأحباب وكعمل صالح وصدقة جارية لا تنقطع، هدية ورحمة ونور لروح عبدك في برزخه برحمتك يا أرحم الراحمين...(آمين)





الفصل الأول

في حب ومحبة الله تعالى وتقواه ورضاه ..

وحب عبده وحبيبه سيدنا ومولانا محمد ﷺ

نبيه ورسوله ومصطفاه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، عليه وحده نتوكل، وبه تعالى نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله لنا غيره، ولا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده وحبيبه ونبيه ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وكل من أحبه واتبعه ووالاه.

والحمد لله المنعم المتفضل الذي لا يُحَبّ قط أحد لذاته سواه تعالى فكل حبّ لأحد من الخلق أو الأشياء يجب أن تكون غايته هي مجرد وسيلة لحبّ ذاته تعالى.

والحمد لله الذي أكرمنا فجعل صفة الحب هي باطن صفة الرحمة والتي هي من أجمل وأوسع صفاته.

فالحمد لله الذي جعلنا وفطر فينا الحب دون جهد ولا اجتهاد منّا بل منّة تعالى منه علينا؛ لأن النفخة الربانيّة فينا أي سرّ الروح والتي أصبحت اسمها النفس والقلب ما هي إلا من نور الحب المتجلي فينا باسمه تعالى الودود، وهو من أكرم أسمائه..

وبعد...

قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» أو كما قال ﷺ .

فجعل الله سبحانه الجمال هو الحب والحب من الرحمة، وجسّد كمال الحب والجمال في ذات حبيبه ﷺ .. وأيضًا في جميع فردوسه وجناته.

فبالحب خلق الله عز وجل الإنسان وبالحب كرّمه تعالى على كثير من خلقه.

فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١) سواه بيده تعالى.

٢) وبمجرد أن نفخ فيه من روحه تعالى أسجد له الملائكة أجمعين إلا العالين.

٣) وجعل له الخلافة في الأرض دون باقي الخلق أجمعين.

كما ميّزه عن باقي خلقه بالعقل والفكر والعلم.. فعلم آدم الأسماء كلها.

الحب وهو من صفات باطن الرحمة

ولوامع حول حروف الحب ومعناه:

١ - الرحمة العامة والخاصة

إذًا فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بالحب، وأظهره في الوجود بالحب، وتجلّى عليه بالحب، والتي ظاهرها الرحمة العامة والخاصة (الرحمن الرحيم).

والرحمة باطنها هو الحب بتجلّي اسمه تعالى الودود.

واسم الله تعالى (الرحمن الرحيم) هما أساس الرحمة العامة (الرحمن) والرحمة الخاصة (الرحيم).

ففي بداية سورة الفاتحة فإن اسم (الرحمن الرحيم) جاء بعد (بسم الله) وأيضًا جاء بعد (رب العالمين) (الرحمن الرحيم).

فمع أسماء الله تعالى وصفاته التي لا تعد ولا تحصى فقد شاء تعالى أن يستفتح كلامه في قرآنه كله وكذلك الأعمال وكل حركة وسكون من الإنسان بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) .

والرحمن هو الرحمة العامة لجميع الخلق وللكافر والمؤمن.

أما الرحيم فهي الرحمة الخاصة لأهل الإيمان والتوحيد والإسلام.

فالله سبحانه وتعالى يتجلّى على خلقه من يحب ومن لا يحب باسم (الرحمن) فخلق الإنسان وسخّر له جميع ما في السموات والأرض منه برحمته العامة فبرحمته سبحانه وتعالى باسم الرحمن يرزق المؤمن والكافر والمجوسي والملحد وكل بني آدم كل منهم بلا تفرقة؛ له نصيبه مثلا في الشمس والهواء والماء والدواب والجبال إلى آخره تبعا لأخذ الإنسان بأسباب العلم والعمل.

وهذه الرحمة تسمى الرحمة العامة- وذلك بتجلّي الله باسم (الرحمن) ويعني في باطنه الحب العام من الله للإنسان.

أما الرحمة الخاصة فهي بتجلّي الحق سبحانه وتعالى على المؤمنين باسم (الرحيم).

والرحمة الخاصة تعني تقريبا الإيمان والإسلام والتوفيق والبركة والحفظ والرضا والتيسير، والتأييد والنصرة والقبول .. الخ، وهي تعني في باطنها الحب الخاص من الله للمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]

وهذا يعني أن الرحمة العامة (الرحمن) خصوصية لرب العزة تعالى وما ينشأ منها الهداية العامة وكما هو واضح عاليه هي الهداية من الكفر والشرك إلى التوحيد والإسلام .

أما الرحمة الخاصة وهي الهداية الخاصة بعد الإسلام والترقي فيه من مرتبة الإسلام إلى الإيمان والتقوى واليقين والإحسان فقد أعطى الله تعالى مفاتيحها للنبي ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢].

كما قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةٗ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومعنى ذلك أن الله تعالى أرسل رسوله بالرحمة العامة ولكن نتيجتها بيد الرحمن وحده تعالى.

أما من هداه الله بالرحمة العامة ودخل في الإسلام والتوحيد فرسول الله ﷺ أعطاه الله تعالى مفاتيح الرحمة الخاصة أي الهداية الخاصة أي الترقى داخل الإسلام والتى تستهدف في الأساس حبّ الله تعالى عن طريق واحد فقط هو حب وإتباع الحبيب ﷺ .

٢- معنى حروف الحب

وكلمة الحب تتكون من حرفين (ح) و (ب):

(ح)... تعني الروح أي آخر حرف منها وهي رمز للنفخة الربانية ذاتها.

(ب)... تعني الرب عز وجل الذي نفخ من روحه تعالى في الإنسان وهي آخر حرف من كلمة الربّ.

فنفخة الروح من ربنا الكريم فينا تضمنت وحملت رحمته وحبه العام تعالى بنا وعلينا وهي فينا.. ومن أجلها كُرّم الإنسان وسُخر له كل شيء من الله تعالى له.

٣- الرقم الجمَّل لحروف الحب

والرقم الجُمَّل لكلمة الحب هو (١٠) وهو كمال التجليات وهى نهاية الأرقام في رقم (٩) وكمالها في رقم (١٠) مكون من واحد وصفر.

ورقم الواحد: إشارة إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له.. الغني بذاته في ذاته عن جميع خلقه ومخلوقاته.

والصفر: إشارة إلي الخلق الفاني العديم العاجز الفقير.. والذي كان عدم قبل خلقه.

ونتدبر هنا شيء.. أن الصفر ليس له أي قيمة بدون الواحد.

فالله هو الواحد الرب الخالق الحق الدائم الباقي الوارث القادر الكريم.

والصفر هو العبد المخلوق الفاني الفقير العديم والذي هو العدم وبعد خلقه أصبح له وجود بالله تعالى...

المعنى:

فبالله وحده يوجد الخلق.. وبدونه ليس للخلق أي وجود.

لذلك وجود الصفر على يمين الواحد ليكون له قيمة ووجود ومعنى.. وهو تزكية لليمين عن الشمال. لأن الصفر إذا وجد على الشمال فلا يُعدّ ولا يحسب كوجود قطّ.

(اللهم اجعلنا من أهل اليمين) فبداية الخلق، كما جاء في بعض السنة المطهرة والأثر الشريف أنّ الله تعالى قبض قبضة من تجلى نور ذاته تعالى من نوره وقال كوني محمدًا.

٤ - الحب نور أو نار

فأول الخلق روحا وأزلا هو ﷺ وهو النور الأول.. ولقد خلقه الله عز وجل بالحب الخاص والعام لذا جعله مجمل الرحمة العامة والخاصة.

والحب له نور، وله نار..

ونلاحظ أن الفرق بين (نور) و (نار) هو (الألف) و (الواو).

الألف: إشارة للألف الجلالة..

الواو: واو إشارة لتجلي اسم الودود.

فمن أحب الله تعالى ولم يشرك به أحدًا واتبع وأحب حبيبه عبده ونبيه ﷺ.. يتنعم بالحبّ ويتجلّى الله عليه باسم (الودود) ويصبح الحب هنا هو نور وهذا فرض على كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة (حب الله ورسوله) ويدخل في النور (نور الإيمان واليقين والإحسان والحب والرضا).

أما إذا كان الحب للخلائق والعوائق والعلائق والدنيا والذات الشخصي دون الله تعالى ورسوله ﷺ فهذا الحب ذلّ ونار يتعذب به صاحبه في الدنيا والآخرة.

وهناك حرف ثالث قد يدخل بين (النون) و (الراء) أي (نَيّر) وهو (الياء) «اتبعوني يحببكم الله» فإذا أضفنا الياء أصبحت الكلمة (نيرّ) وإذا أضفنا إليها (م) محمد أصبحت (منير).

فهو ﷺ .. السراج المنير.

وهو ﷺ .. الرحمة المهداة.

وهو ﷺ .. بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وهو ﷺ .. رحمة الله للعالمين.

كمثال.. ويجب أن نلاحظ (الياء) في ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾

و(الياء) في « قل يا عبادي » .

فالياء فاتبعوني تعني الإتباع له ﷺ الذي يعود إلى العبودية الخالصة لله تعالى فهم أهل عبودية وخصوصية له تعالى وبالتالي حب منه تعالى فكما أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء.

فحرف الياء كذلك.. خاتم الحروف الأبجدية.

كما أن رقم ٩ كذلك .. خاتم الأرقام.

وبالنسبة لرقم (٩) وجدنا الرقم يشير إلى واحد الألوهية والذات الربانية ملتصق به في أعلاه على اليسار رقم ٥ إشارة إلى تمام خلق الخلق لأن جميع الخلق قائم بقبضة الله تعالى وقيوميته لهم وبدونه تعالى لا قيام لهم.

ودائرة الخلق يمثلها كلها الحبيب ﷺ حيث اكتمل الدين فَقُفِلَتْ الدائرة فأصبحت (٥).

وحيث اكتملت رسالة الله عز وجل للرسل والأنبياء به ﷺ فاكتملت

الدائرة- والـ (٥) ليست منفصلة عن الخالق فهي على شمال الخالق - وهنا تكون عبارة عن حق وخلق، ورب وعبد ويمثلها شهادة الإسلام [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله] وهي تمثل رقم (٩) ولذا أصبحت الشهادة أول ركن في الإسلام وكلمة التقوى وأساس الإيمان وانتهت بها الأرقام أما رقم (١٠) ويرمز ببدء الخلق ووجوده مع الوجود المطلق المنزه الله خالقهم تعالى فالـ(٩) يعتبر نهاية الأرقام والـ(١٠) تعتبر كمال الأرقام حيث كل الأرقام مكرره بعده.

الله سبحانه وتعالى.. رب العالمين.. أنعم على العبد المؤمن بالرحمة الخاصة والحب بمحض قديم إحسانه تعالى فخلق أجمل الجمال.. ونور الأنوار ﷺ الذي تجلّي عليه فجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وجعله رحمة للعالمين..

فمن تمسك بحب الله تعالى ورسوله واتبع الحبيب ﷺ فقد فاز..

فالحب هو أسهل الطرق وأسرعها وأيسرها حيث يحشر المرء مع من يحب والحب ليس كماليًا أو ثانويًا أو نافلة بل هو فرض الفروض.. فبلا حب لا يكون صدق في طاعة ولا تأسي ولا اتباع حقيقي حتى إذا وجدوا يكونوا بلا روح ولا حقيقة وبلا رحمة ولا رأفة.

والحب يعني النية الصادقة المخلصة في القيام بجميع الطاعات من فروض ونوافل وأعمال صالحات فالحب عمل وجد واجتهاد وهمة وليس كلام.

٥- أهل المحبة هم أهل الإنعام من الله تعالى عليهم

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩]

مَنْ هم الذين أنعم الله عليهم؟.

هم صفوة النبيين والصدّيقين.

فكلمة (مِنْ) تعني البعضية، وليست الكلّية حيث أن إنعام الله الخاص بالمحبة لله ورسوله ليست لكل النبيين وليست لكل الصدّيقين ولا كل الشهداء ولا كل الصالحين؛ ولذلك ذُكِرَتْ في الآية السابقة (مِنْ).

ويؤكد هذا حين قال الله تعالى في السبع المثاني سورة الفاتحة دعاء هو الأكمل والأتم والأعلى ما جاء في سورة (الفاتحة):

من كل دعاء مثبت لله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [من الفاتحة].

فالحب أزلي من الحنان المنان الوهاب ذي الجلال والإكرام تعالى علينا وقد جعل سره فينا عز وجل، ولولاه ما خلقنا الله تعالى وأسجد لنا الملائكة ولا خلق لنا الجنة.

ومن الأشياء اللطيفة أن معصية المسلم تأتي في الأغلب الأعم من وسوسة الشيطان لشهوة وهوى نفس فإذ تنبه ورجع إلى ربه تعالى الاستغفار والتوبة - نقله الله تعالى ليس فقط إلى نور العفو والمغفرة بل إلى أعلى مقام وهو مقام الحب فإبليس اللعين حينما يغوي الإنسان المسلم وتزل قدمه.. فيتوب لله تعالى فيصبح من أهل المحبة بنص الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فكل شيء خلقه الله تعالى حولنا إن ظهر في بعضه أنه شرّ ولكن بمحبّة الله تعالى الأزلية لنا جعل هناك باب ندخل منه للترقي إلى مقام المحبة فيه به إليه تعالى.

فيجب التمسك بالحب لله تعالى الصادق المخلص والاتباع للحبيب ﷺ.

والحمد لله أن النهر المحمدي هو نهر اليسر.. واليسر من الحب والحب من الرحمة.

فكما قيل «ما عرض عليه ﷺ أمرين إلا واختار أيسرهما ما لم يكن به إثم» [...الحديث].

٦- مكان الحب - أنواع القلوب وأنواع الحب

فالحب في معناه العام هو: التصاق وانجذاب وتعلق بين الحبيب والمحبوب.

والله إما يحب أو لا يحب.. ولكن لا يكره وإنما يبغض ويغضب.

وحب العباد لله تعالى هي عين طاعته فيما زكّى وأمر ونهي وكلّف العباد أمّا حبّ العباد للعباد هو تضحية وإيثار وعطاء ونفع من المحب لأحبابه.

والحب مكانه القلب: وهو مكان النية والتقوى واليقين.

ويجب أن يكون نور الله رب العالمين وحده في القلب حبّا ومحبة، أما شغاف القلب وهو غلاف حول القلب فهو مكان حبّ الخلق وليس الخالق فكل ما يحبه الله تعالى ويزكيه مثل حب الوالدين.. والأبناء.. والزوجة.. والأهل.. والعمل.. والوطن.. والخير عمومًا يجب أن يكون في شغاف القلب، أما القلب ذاته فهو مكلف لنور الله تعالى فقط.

ويجب ألا يدخل أحد من هؤلاء من الشغاف إلى داخل القلب حتى لا يُسَلّط الله تعالى هذا الشيء على صاحبه .. لأن القلب بيت الرحمن، والشغاف التي حول القلب بيت الخلائق عمومًا بشرط أن يكونوا ممن زكّاهم الله تعالى ورسوله ﷺ.

فالعبادة هي الطاعة وصدقها وحقيقتها هي حب الله ورسوله ﷺ.

وأنواع القلب -الذي هو مكان الحبّ..- أنواع أربعة: -الأول مذموم والثلاثة بعده صور مختلفة للقلب في حب الله تعالى وخشيته وهي محمودة-:

النوع الأول: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾

النوع الثاني: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾

النوع الثالث: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾

النوع الرابع: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة ٧٤].

فالقاعدة هي الحب، أما الاستثناء فهو القسوة.. فالنوع الأول مذموم ومحجوب أما الثلاثة بعده فهم درجات ومقامات مختلفة في أنواع محبة القلب لله تعالى.

فالله يهدي المجتهد ويهدي إليه من أناب ويجتبي إليه من يشاء.

وهناك ناس أرواحهم كثيفة.. فهؤلاء هم أهل القلب الحجري القاسي كما ذكرت الآية.

وأصحاب هذه القلوب القاسية لا تعرف الحب أو الرحمة وإذا أحبت فلا تحب إلا نفسها أو تحب لمجرد الامتلاك فقط لنفسها أيضًا.

فيجب أن نفتش في أنفسنا على هذه القاعدة ونرى، هل حبنا خالص لله؟.

هل نرضى الله تعالى في حبنا لما زكّاه وأحبه؟.

هل حبنا لله تعالى ورسوله الكريمﷺ أعلى من أي حب آخر وأشد من أي حب آخر لخلق أو خلائق؟.

فإذا كنا ندّعى أن حبنا لله صادق؛ فلابد أن تكون أوامره دائمًا فوق كل شيء وفي كل وقت وحال وأهل هذا الحبّ دائما أشد حبا لله تعالى وأشد وأصدق وأخلص في طاعتهم له تعالى والمهم هنا: أن لا يُحَبْ لذاته إلا الله عز وجل فقط وما عداه يُحبّ لحب الله تعالى له أو تزكيته تعالى له.

أمّا أنواع الحب فهي:

إما حب محمود أو حب مذموم:

- **والحب المحمود:** حب الله تعالى وحب كل ما يحبه الله ويزكّيه.. وتجنب كل ما نهى عنه الله عز وجل وأن يكون حب الله تعالى أعلى من أي حب.

وكذلك حب الحبيب ﷺ وحب كل ما جاء به وزكّاه.. واجتناب كل ما نهى عنه ﷺ طاعة وتأسيا واتباع وسنة وعملا وإتباعا.

وأيضًا حب الأنبياء والرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وحب أولياء الله الصالحين.

وحب وإيثار الآخرة عن الأولى أي الدنيا.

وكـذلك حـب الأعـمال فـروض أو نوافـل، وكـذلك مـن الأزمنـة والأماكن التي زكّاها الله ورسوله في الكتاب والسّنّة.

وحبّ الأهل.. والحب الإنساني ضروري لأننا لا نستطيع حب الله إلا إذا أحببنا الأهل - فالحب الإنساني هو مدرسة تحضيرية تمهيدية تؤهل لأسمى أنواع الحب وهو الحب الرباني المحمدي.

ولا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا إذا أخرج الخلق من قلبه فيضع كل همّه في حب الله تعالى وحب حبيبه ﷺ، والارتباط اتّباعًا بنور الأنوار وكعبة الأرواح حتى تحيا القلوب وتحيا بنور الحبيب وتدخل في الحب المحمدي الروح الأكبر والنور الأول، ويعود الجزء إلى الكل والفرع إلى الأصل.

كل هذا سبيل ووسيلة إلى الغاية الكبرى والهدف النهائي الأسمى وهو حب الله تعالى لنا فبمحبته تعالى لنا نحبه تعالى وهو القصد والغاية والنهاية لا شريك له تعالى.

أما الحب المذموم:

وهو حب الأشخاص أو الأشياء لذاتها وكأنها أرباب من دون الله تعالى .

مثل: حب الإنسان لذاته، وأنانيته أو جاهه أو علمه، أو للتفاخر والتكاثر والمظاهر .. الخ - وكذلك حب الإنسان للآخرين بغرض المصالح الدنيوية والشهوات النفسيّة.

ومثال هذا الحب المذموم: ما جاء في سورة آل عمران تفصيلا وتحديدًا كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ﴾ [آل عمران: ١٤].

وبمعنى آخر.. كل حب لخلق أو عمل أو دنيا أو زمان أو مكان لم يزكّيهم الله تعالى ورسوله ﷺ بل نهوا عنهم.. فهذا هو الحب المذموم.

فالحب المذموم غالبًا ما يكون حب شهواني وحيواني ومادي وحسِّي.. لا قلب له ولا وجدان، ولا رحمة ولا ود ولا روح ولا مشاعر فيه بل أنانية وقسوة وهذا هو الحب المذموم.

أما الحب المحمود فهو يوصل صاحبه إلى حب واتباع الحبيب ﷺ وحب الحبيب واتباعه ﷺ يوصل صاحبه إلى حب الله تعالى كما ذكر القرآن: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

وهذا هو الغاية والمراد.. وهو حب الله لذاته تعالى.. أما أي حب آخر محمود فهو وسيلة وسبب توصلك وتقربك من تحقيق هذا الغاية - وما ناقض ذلك فهو الحب المذموم..

٧- نوافذ الحب

نوافذ الحب هي نفس النوافذ لمدخل الإسلام والإيمان واليقين والتقوى.

حيث أنها نوافذ واحدة لا تتغير.

وهي الأسلاك التي توصل في النهاية إلى الحب المحمود أو الحب المذموم أي إلى القلب أو النفس فهما المحطة الأخيرة لهذه النوافذ المختلفة.

والنوافذ هي نوافذ العقل والفكر وما يتبعها من الجوارح مثل العين، والسمع واللمس.. الخ.

٨- علامات الحب (حب الله تعالى)

١. دوام الذكر لله تعالى بالله تعالى..

فالمحب دائمًا يحب الكلام عن محبوبه فيكون ذاكرًا لـه دائـمًا متكلما عنه وفيه وله، لا يريد الحديث لأي آخر غير محبوبه.

٢. دوام التأمل والتفكر في خلق الله وبديع صنعه تعالى وإحكام تدبير هذا الكون وأيضًا التفكر والتخلق بأسمائه تعالى.

كل ذلك خير السبل والطرق لحبه تعالى فهـو تعـالى الجميـل الـذي خلق الجمال والرحمن الرحيم الذي خلق الرأفة والشفقة والرحمة في الخلق والأمهات خاصة.

٣. التشوق دائما إلى النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة هذا في الآخرة، أما في الدنيا فالاجتهـاد والمجاهـدة هـي بـاب الوصـول إلى مقـام الإحـسان واليقـين (أن تعبـد الله كأنـك تـراه) وفي ذلـك قمـة الإحساس بسعادة الحب.

٤. حب الطاعات فروضًا ونوافل فوق وقبل أدائها.

٩- أهم علامات حب الله تعالى وشرط صحته

حب كلام الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم.

وعشق الصلاة فرضًا ونافلة.

حب رسول الله ﷺ.

وحب كل ما كان يحبه ويزكّيه والتأسي به في حياته ومعاملاته وعبادته وعاداته.

مثل :

حب اليتامى، والعطف على الصغير واحترام الكبير، والرحمة بالضعيف والفقير، حب العلم والعمل والتفوق... الخ

فقد كان ﷺ السهل، الليّن، الهش البش، الرؤوف، الرحيم، العطوف الصادق الأمين، صاحب الكمالات البشرية والأنوار الربانية.

وكما قال ﷺ :

- « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به » .

- « أقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا » .

- « إنما بُعثْت لأُتمم مكارم الأخلاق » .

- « الدين المعاملة » .

أما شروط وصحة الحب الصحيح لله تعالى ورسوله الكريم ﷺ :

هو فرض أمرنا به الله عز وجل في كتابه العزيز .

وله شرطان:

أولاً: حب كل ما أحبه الله تعالى وزكّاه.

ثانيًا: ألا يكون هناك حب أعلى من حب الله تعالى ورسوله ﷺ .

والآيات الكريمة سوف توضح لنا كل أوامر الله عز وجل وجوائزه فيما يتعلق بحب الله ورسوله ﷺ وكذلك عقابه لمن أهمل أو غفل عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

لذلك يجب أن يكون حب الله تعالى ورسوله أعلى وأشد من أي حب غير مُزَكّى من الله ورسوله ﷺ .

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١)- **فشرط صحة حب الله تعالى:** هو في حبّ واتباع الحبيب ﷺ قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

(٢)- **كما أن شرط طاعة الله تعالى :** هي طاعة الرسول ﷺ : قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

(٣)- **وشرط تقوى الله تعالى:** هو الإتيان بما أتى به الرسول ﷺ والانتهاء تماما عما نهى عنه قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

(٤)- **وشرط رضا الله:** هو التأسي بأسعد الخلق ﷺ قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

(٥)- **وشرط قبول التوبة بالرحمة وليس بالعدل:** هو شفاعة الحبيب ﷺ ودعاؤه قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

فالحبّ لله إن لم يكن موجودا في القلب فالبديل هو الكفر، لأنه كما أن الحب باطن الرحمة فهو باطن الصدق والطاعة وحق التوحيد لذا قال الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤].

والردة عن الإسلام هي الكفر والشرك، ونقيضها الإسلام والإيمان - ولكن الله تعالى جعل نقيض الارتداد عن الإسلام هو الحبّ ولذلك لم يقل تعالى (فسوف يأتي الله بقوم مصلين – أو: مسلمين) بل قال (قوم يحبهم ويحبونه تعالى).

فالحب إذًا فرض على كل مسلم ومسلمة وليس سنة وليس كماليات في الدين بل هو روح الدين كله وجماله وكماله.

وثمرة الحب والاتباع يظهر ويتجلى يوم القيامة، حيث قال جدّ الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٧].

وقال سبحانه وتعالى لحبيبه ومن كان في أهل معيته الشريفة محبة وإتباعا (معــــه): ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

(معه): تعني أهل حبه ومعيته ﷺ بالتأسي والاتباع، وذلك لتحقيق الغاية والمراد النهائي وهو حبّ الله تعالى لهم فبحبه تعالى يحبونه.

١٠ - المراتب في حب الله تعالى

١) **المرتبة الإلهية الربانية**: الله تعالى وهو اسم الجلالة الدال على الذات والجامع لجميع الأسماء والصفات وهو الاسم الأعظم المتعلق بحبّ العباد ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وكذلك اسم الرب، فاسم الله رب العالمين هو أقرب تجليات الله بالنسبة للخلق جميعًا، فالله تعالى هو الرحمن وهو رب العالمين فسبحانه له الأسماء الحسنى كلها.

فكل أسماء الله الحسنى متجلية على الخلق، والرب هو المنظم والمنسق لها في تجلياتها على الخلق، واسم «الرب» لا يذكر إلا ومعه أحد متعلقاته من الخلائق مثل: رب الناس، رب السموات والأرض، رب العرش العظيم، رب المشرق والمغرب، فالله واحد، فتجلى الربوبية هو أقرب وألصق تجليات الله بجميع الخلق ومخلوقاته ظاهرة وباطنة موجودة أو غيبية وهو تجليات اسم رب العالمين الرحمن الرحيم لا شريك به.

وله تجليات لا حصر لها ولا عدّ لأنه فوق كل شيء، فالله أكبر، والله جمع الحسنيين للمسلم فالله تعالى جمع للمسلم في صلاته والأذان والإقامة تجليات حب الألوهوية (الله) وتجليات حب الربوبية (الرب) فالمسلم كمثال يتمتع بتجليات اسم الله تعالى الربوبية «الرب» قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ وإذا تدبرنا الصلاة والأذان فسنجد أن المسلم يتقلب بين الأذان والإقامة والصلاة في أنوار الإلوهية والربوبية.

فالأذان: مقام الألوهية فيه واضح ومؤكد، (الله أكبر) ٤ مرات.

(أشهد أن لا إله إلا الله) مرتين.

(لا إله إلا الله).

والصلاة .. مقام الربوبية فيه واضح: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ولكن يلاحظ أن التسبيحة الوحيدة في الصلاة والمكررة بين كل حركة ركوع وسجود وقيام هي «الله أكبر» قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ - ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فنحن نحب الله تعالى رب العالمين، ونؤمن بربنا الله الواحد الأحد الرحمن الرحيم.

وكما ذكرنا بأن مقام المحبة لله تعالى جعله في مرتبة الألوهية الربوبية ولكن الله تعالى حين ذكر حبه تعالى لازمه باسم الجلالة فقط قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] فوضع الحبّ في متلازما مع اسم الجلالة هذا دليل على سمو وعلو وشرف مقام الحب أي حب الله تعالى، وأنه متصل ومتعلق بالاسم الأعظم للذات وهو «الله» وما ذكر الحب في القرآن الكريم إلا وذكر معه اسم الجلالة الأعظم «الله» عز وجل -.

وهذا أيضًا حادث في مقام الرضا المرتبط بخشية ربّ العالمين فاسم الجلالة مرتبط بالرضا وقال تعالى ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

فالحب ظاهره طاعة وتقوى لله تعالى وحب واتباع لرسول الله ﷺ أما باطنه فهو سر بين العبد وربه مقداره يتوقف على نسبة الصدق والإخلاص نية وقولاً وفعلاً من العبد نحو الله سبحانه وتعالى، وكمال الحب لله تعالى هو المصحوب بخشيته تعالى.

١١ - أمّا نوافذ الحب الإلهي المحمدي

فنوافذه تزيد على نوافذ العقل والجوارح التي ذكرت سابقًا في الحب عامة في الآتي:

- العقل الغيبي. - نافذة الخيال.

١) العقل الغيبي:

هو عقل خاص بالقلب يسمى (البصيرة) ويشار عنه بالعامية بكلمة (الضمير) وهو محطة وصول الواردات الربانية والمكاشفات الإلهية ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

ومكان العقل الغيبي في القلب يسمى (بالفؤاد).

وهذا الفؤاد الذي فيه العقل الغيبي (البصيرة) فيه أيضًا عين قلبية وأذن قلبية أي سمع وبصر قلبي فؤادي يصعد إلى مستوى أعلى من الحس فيشاهد ويسمع في عالم الملكوت - قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١].

وهذا الفؤاد أيضًا محط العاطفة لكل حلال ومباح بين صاحبه والخلق، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [القصص: ١٠].

٢) نافذة الخيال:

وهي قمة وتاج العقل الغيبي لم تعط للجن ولا للملائكة ولكن للإنسان فقط.

وهي خاصة بالصور الروحانية الغيبية التي هي فوق عالم الحسّ .

ومن أمثلة نافذة الخيال أنها قد تعطى للإنسان غير المؤمن كما هي أساسًا موجودة عند الإنسان المؤمن بالضرورة بشرط حبه وتقواه لله تعالى وحبيبه ﷺ .

فإذا أعطيت سواء للمؤمن أو لغير مؤمن ينتج عنها أحيانًا ما يسمى (علم الخيال) سواء في السينما أو الأدب أو القصص أو الاختراعات وقد تحظى بتجليات أنوار أسماء الذات فقط، وليست في كنه الذات مطلقا حيث لا قدم لمخلوق فيها، وإذا ما صعدت إلى ما فوق الملكوت يكون العشق الإلهي.

وفي هذا جاء الحديث الشريف: «أن تعبد الله كأنك تراه».

ومعنى كلمة (تراه) هنا هي صورة من تجليات أسماء الذات ولكن لا تصور للذات الإلهية قط، ولذلك حرف (الكاف) يعني: أن ما تراه هو كأنه تجلي للذات ولكن في الحقيقة أن ما تراه ليس مطلقا كنه الذات سبحانه ولكن فقط هي تجليات لأنوار أسماء ذاته تعالى وذلك في الحديث الشريف «كأنك تراه».

١٢- حضرات الحب الإلهي

١) حضرة الطاعة والتأسي: (حضرة الأعمال البدنية والعقل والجوارح)

وهي توازي علم اليقين .. وأيضًا توازي الإسلام الصحيح الصادق البعيد عن النفاق وعن الشرك الخفي.

فمن يطع رسول الله ﷺ ويتأسى به يحدث له أول حضرة حب إلهي. ويسميها أهل الحب [حضرة الأعمال] وهي أول حضرة وقد تسمى بحضرة الطاعات.

ثمرتها:

- حب الله سبحانه وتعالى.
- حب القرآن الكريم. وهنا يعطي الله تعالى العبد فهمًا خاصًا به وهي واردات خاصة به فقط.
- حب الأسماء الحسنى وتجلياتها والتخلق بها.
- حب أعمال الطاعات في الفروض والنوافل.

٢) حضرة الاتباع: (وهي حضرة أعمال مصحوبة بأعمال القلب بالإضافة لما سبق)

وهي توازي عين اليقين، وأيضًا توازي أهل التقوى من أهل الإيمان الحق، لمن يرتقي في الايمان والإتباع لحضرة النبي ﷺ ويتبعه في كل ما كان

يحبه ويزكيه ﷺ سواء في المعاملات أو الأخلاق مع الخلق كذلك العبادات والعادات والمعاملات والأخلاق وثمرتها:

يكون حب واتباع العبد قد أتى ثمرته النهائية أي حب الله تعالى للعبد كما قال في كتابه العزيز: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ لأننا كما قلنا في أول الموضوع كله أن الله هو الغاية والقصد والنهاية في حبه تعالى، ولا يحب لذاته إلا هو لا شريك له، وهنا يبدأ التذوق لطعم الحب وحلاوة الإيمان.

واعلم أن مقام النبي ﷺ في محبة الله تعالى هو أعلى من مقام الرسول له ﷺ حيث أنه ﷺ:

١- أول نبي أنبأ الأنبياء والرسل بالله رب العالمين وتوحيده، وذلك كما جاء في الآيات التي وردت في سورة [آل عمران: ٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

٢- أن التكليف الخاص بالصلاة على حضرة النبي ﷺ الذي جاء في سورة (الأحزاب) والتسليم له كاملاً بالإضافة إلى السلام.. جاء بلفظ النبي ولم يأت بلفظ الرسول قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٣- مقام الرسول مقام تشريعي ينتهي بانتهاء حياة الدنيا.

أما مقام النبوة فهو مقام خصوصية يبدأ من عالم الذر إلى عالم الدنيا إلى عالم البرزخ إلى عالم الآخرة.. إلى ما شاء الله الدوام.

وصلى الله على سيدنا محمد الجامع لجميع الكمالات.. فهو خاتم النبيين وإمام وسيد المرسلين جميعًا.

٣) حضرة أنوار الحب: (وهي تذوق روحي بالإضافة إلى حضرة الأعمال والإتباع السابق ذكرهما)

وهي توازي حق اليقين، الوصول لحب ذات النبي ﷺ فذاته نور في نور بها يصل إلى حب نور أسماء ذات الله تعالى.

ثمرتها:

يتجلّى الله سبحانه وتعالى على العبد في هذه الحضرة ببعض أسماء الذات الخاصة بالذات.

وينتج عن هذا التجلّي العشق الإلهي، وهي أعلى مرتبة لأنه دخل في نور ذات الحبيب ﷺ كما جاء في الآيات الكريمة ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ - (الياء) (والحب تذوق ولا يوصف بالكلام).

١٣- مسميات الحب الإلهي

وهي متداخلة ولكن للتوضيح نفصلها تحت العناوين الآتية:

١) الهوى:

إن سقطت ذرة أو أقل من نجم حبّ الله تعالى على العبد فيصبح هواه تبعًا لما جاء به حضرة النبي ﷺ خلقًا ومعاملة وعبادةً وحياةً وكما قال حضرة النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» صدق رسول الله ﷺ.

بمعنى آخر أن الهوى في داخل نفوسنا يتحول كله إلى طاعة وتأسي واتباع لحب الحبيب ﷺ.

إن الحبيب ﷺ هو نجم الحب لله تعالى، الحب الكامل المكمّل الذي صفته تمام العبودية والتسليم بالحب لله مع خشيته وطاعته تعالى، وهنا ذكر الله تعالى كناية عن الحبيب ﷺ اسم (النجم) أي النجم الذي هوى حبًا وعشقًا لربه بالعبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ [النجم: ١-٣].

وكلمة (الهوى) الثانية في الآيات السابقة هي هوى النفس اللئيمة أو السيئة أو الأنانية - فنستنتج من هذا أن هناك هوى النفس: إما أن يكون هوى متجه إلى الله تعالى ورسوله ﷺ وهو أول مرتبة في حب الله سبحانه وتعالى - أو هوى النفس الخفية والمهلكة لصاحبها بحب نفسها أو شهواتها وهواها في أي حب مذموم.

٢) الحب:

إذا استقر هذا الهوى مع الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ مع تقلب قلبه يسمى بالحب بدلا من الهوى - والحب تعلق شديد، فالقلب يتعلق بحب الله تعالى أي أنه ارتقى من المرحلة الأولى وهي (الهوى) إلى حب الله ورسوله - أي أصبح ليس هناك تقلب ولكن ثبات في مقام الحب.

٣) الغرام والهيام:

إذا سقطت ذرة أو أقل من تجلّى أنوار اسم الذات، وهو (النور) مع الحب الموجود سابقا كما جاء في كتابه العزيز ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] . وإذا أخلص العبد في حبه لسيده وخالقه ارتقى إلى مرحلة الغرام والهيام، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإذا ثبت وأخلص فيها ارتقى إلى مرحلة (الود).

٤) الود:

وهنا ينزع الله سبحانه وتعالى إرادة النفس من النفس فلا يصبح في نفسه نفسًا.. ولا يصبح له اختيارًا، ويصبح اختيار هذا العبد هو اختيار الله سبحانه وتعالى، أي يصبح قلب العبد ليس فيه شيء من اختيار أو شهوة نفسية أو إرادة إلا عبودية وافتقار وحب لربه الله تعالى وحينئذ يملأ الله تعالى قلب هذا العبد بقدر من مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى بالقدر الذي شاء، فيقذف في قلبه أنوار اسم (الودود) وتصبح مشيئة العبد هي في الواقع من تجليات مشيئة الله تعالى.

حديث قدسي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» [رواه البخاري].

فإذا نظرنا إلى الحديث السابق سنرى (حتى أحبه).. وهي مرحلة الغرام والهيام.

ثم سنرى (فإذا أحبته) وهذه المرحلة العليا وهي الود هنا يرتقي العبد إلى ما ذكرناه سابقًا في هذه المرتبة أو في هذا المقام وهو العشق الإلهي وعين حق اليقين.

فهناك حبين:

- حب أول من الله تعالى للعبد.. يدخل فيه العبد مرحلة الهوى والحب والهيام والغرام..
- ثم حب يليه إذا ثبت العبد في إخلاصه في الحب الإلهي.. يتحول فيه العبد إلى عبد رباني وهو تجلى لاسم الله العظيم [النور الودود الباطن] وفئات مثل هؤلاء تتمثل في الصدّيقين والشهداء وأولياء الله الصالحين عموما وأهل العشق الإلهي خصوصًا.

وختامًا للموضوع نذكر ثلاث أحاديث للحبيب ﷺ .. وكذلك بعض المأثورات من أهل الحب والعشق الإلهي.

قال ﷺ :

١- « مَنْ أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فقد استكمل الإيمان » [البخاري].

٢- «أشدّ الناس لي حبًا من أمتي، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بكل أهله وماله» [فقد صدق في حبه لله] [مسلم].

٣- «مَنْ عشق فَعَفَّ ومات، مات شهيدًا» [الحافظ الأصبهاني]

أو كما قال ﷺ

وجاء في الأثر الشريف:

« يا بن آدم؛ وحقي وأنا الحق إني لك محب ، فبحقي عليك كن لي محبًا.. فقد سميت نفسي في القرآن الودود.. أي شديد المحبة لك، ولولا حبي لك ما خلقتك.. » .

وجاء على لسان بعض المحبين:

- فلولا الحب ما عُرفَ الوداد.. ولولا الودّ ما عُبِدَ الجواد..

- حب الله لك.. هو لك.. لا لنفسه تعالى، لكي تحيا في عز لأنه العزيز.. ولكي تسعد بالجمال لأنه الجميل.. ولكي تحيا في النور لأنه النور..

- حب الله لأهل الإيمان هو بإحسانه..

- وحب الله لأهل اليقين والإحسان هو بالكشف عن جماله..

- إذا سُئِلت أتحِب الله ورسوله؟ فأجِبْ: اللهم آمين إن شاء الله- لأنك إن قلت لا.. فقد كفرت.. لأنه فرض الفروض..

وإن قلت نعم.. طولبت بالدليل عن طريق البلاء.. ليستبين صدقك من كذبك بقلم نفسك.. والله أعلم بك منك.

- المحب الملتزم في إسلامه، والمجاهد نفسه في إيمانه، والمتقي الله، وأحب وأتبع حبيبه في كل شيء - فبتقوى الله أحبه الحبيب ﷺ، وبحب الحبيب ﷺ واتباعه.. أحبه الله تعالى. وبحبه تعالى لهؤلاء به عرفوه تعالى.. وبجماله تعالى أنسوا به.. فأحبوه وعشقوه.

- كما إن المحب في الحب الإنساني لا يريد أن يرى إلا محبوبته، ولا يريد أن يسمع إلا صوتها، ولا يريد أن يتكلم إلا في ذكرها، ولا يريد أن يأنس إلا بحضورها، ولا يريد أن يعمل إلا في كل ما يسرّها، ولا يريد أن يشغل قلبه كله إلا في حبها وخيال جمالها .. فكذلك دون قياس أو تشبيه- للتقريب وليس للتحقيق فلله المثل الأعلى..

فالمحبوب هو دائمًا لا دنيا ولا خلق ولا خلائق، ولا علائق، ولا عوائق، ولا جنة لا نار، ولا حساب ولا عقاب يشغله ذرة ولا ثانية عن تعلق قلبه بحب الله ربه ومولاه، وحب حبيبه ومصطفاه ﷺ، مع بقاء عقله وبدنه في رعاية أهله، والسعي في الرزق والأخذ في أسباب الحياة.

- فبالحب يقول قلب المحب:

.. بالأحضان وبالأشواق حيّ على الصلاة ..

.. وبالخشية وبالدمع وللتدبر حيّ على القرآن..

.. وبالأدب والتعظيم حيّ على ذكر الله ..

.. وبالود والبر والصدق حيَّ على معاملة الخلق..

.. وباليقين والحب أنْسى في مناجاتي لله ربي..

.. وبالحمد والشكر كل دعائي ورجائي لربي الله..

الحقيقة:

هي أن كل شيء يُسَبِّح بحمده تعالى ويذكره.. إلا نحن بنو آدم فنحن بين الغفلة والذكر، وبين حبه تعالى وحب الدنيا والخلق، وبين الإيمان والعصيان.

- مَنْ ادّعى حب الله.. فلابد أن يحب محبوب الله ﷺ الذي علّمنا حب الله تعالى.

- ومَنْ ادّعى حب الله.. فلابد أن يحب قراءة وتلاوة أو سماع كلام الله تعالى وكثرة الصلاة .

فالحب ديني وفرضي، والحب حياتي وسعدي، والحب نوري وعزّي، والحب جنتي وتوحيدي لربي.

ومن شعر العاشقين:

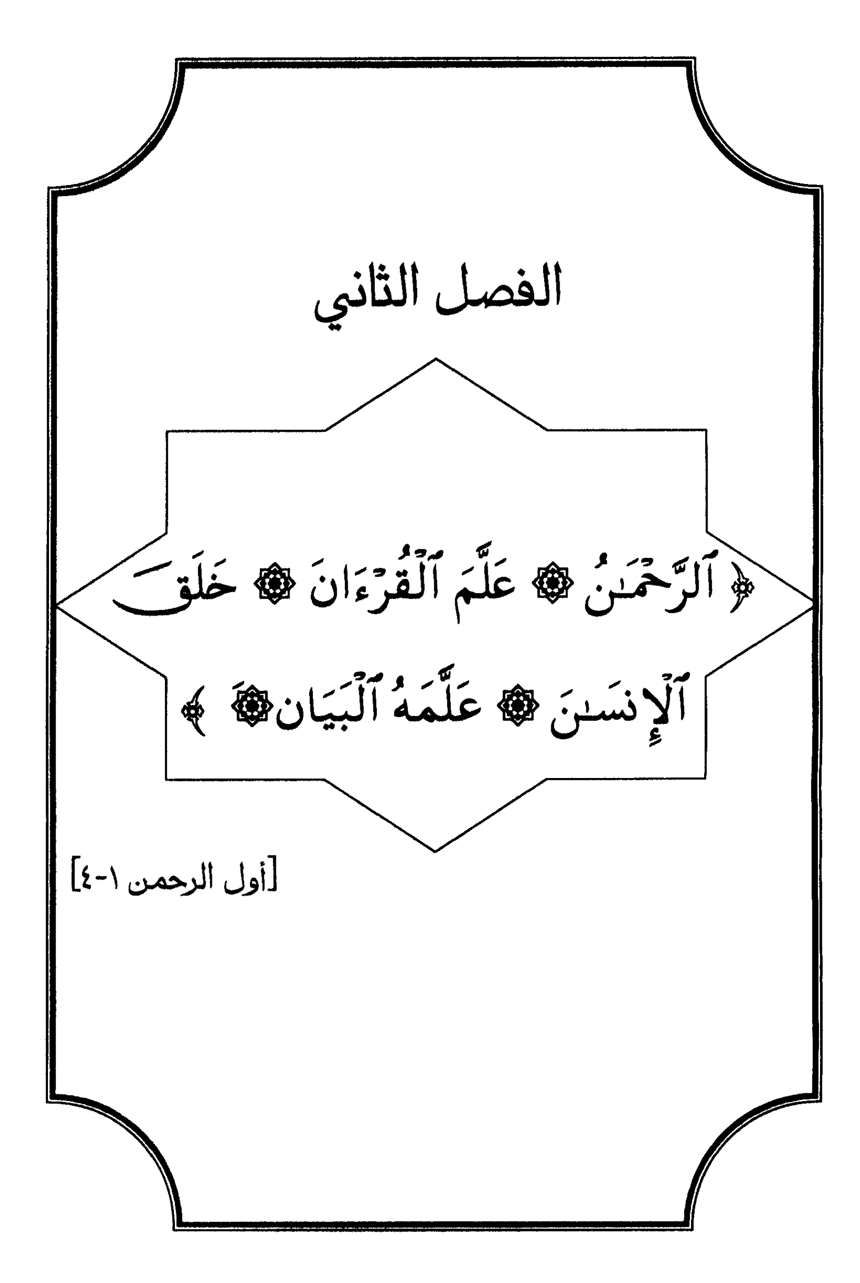
يا حبيب القلوب مَنْ لي سواكا ... ارحم اليوم محب قد أتاكَ
أنت حبي وبغيتي وهواي ... فقد أبى القلب أن لا يحب أحد سواكَ
يا كل مناي يا محبوبي واعتمادي ... طال شوقي فمتى يكون لقاك
ليس سؤلي من الجنان نعيما ... غير إني أرجوها فقط لأراكَ

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك الحجب لي حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولاذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

اللهم إنّا نسألك أن تهب لنا من لدن رحمتك رضاك وتقواك حتى نسعد بحبك ونخشاك.

اللهم إنّا نسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك.

سبحان رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.


الفصل الثاني
﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ ﴾
[أول الرحمن ١-٤]

وموضوعات هذا الفصل الثاني تتضمن الآتي:

أولاً: أهم المعاني والتعريفات التي يجب أن يعرفها المسلم حول القرآن الكريم وبعض علومه بشكل إجمالي وموجز عام.

ثانيًا: بالإضافة أن كتاب الله العزيز هو أساس والمصدر الأول للدين الإسلامي ومعه وبعده السنة الصحيحة الشريفة وبعدهم الإجماع.

والقرآن الكريم كتاب الله العزيز هو فرض على كل مسلم أن يعمل بأوامره وينتهي عن نواهيه ويؤدي تكليفاته وكيف يكون القرآن الكريم لك شيخًا وولي مرشد ومعلم في طريق حب الله ورسوله ﷺ بتوفيق الله- إن لم تحظى وتوفق بوليّ مرشد لك.. (بالطبع ذلك بالإضافة أنه نور وبشرى وشفاء ورحمة وشفاعة وهدى.. لكل مسلم ومسلمة وتلاوة آياته وأداء أحكامه مع حبه للقرآن الكريم وملازمته ومصاحبته تلاوةً وعملاً لأن ذلك دليل على صدق حبك لصاحب الكلام وهو الله تعالى).

ثالثًا: مع كيفية الاستفادة بالأسماء الحسنى التي وردت في القرآن الكريم والفهم لها من خلال سياقها وعلاقتها بالآيات السابقة واللاحقة لها وكيف يستخرج كل مسلم ومسلمة ما يفيده من ذلك في شتى مناحي الحياة العبادية والحياتية سواء كان ذلك في الذكر والتحصين والمناجاة والابتهال والدعاء.

۞ ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، رب العالمين الرحمن الرحيم وعليه وحده نتوكل، وبه تعالى نستعين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك، لا إله لنا غيره ولا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده وحبيبه ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وكل من أحبه وأتبعه ووالاه.

سبحانه؛ قرآنه تعالى من كلامه، وكلامه من صفاته، وذاته وصفاته وكلامه، وأفعاله ليس كمثلها شيء، فسبحانه كلامه لا ينفد، فهو بلا حرف ولا مقطع ولا فصل ولا نقط ولا نهاية.. فهو ليس ككلام كل الخلق وليس مثله كلام.. وتنفد كل بحار العالمين والعوالم وبحار الأكوان كلها ولا ينفد مداد كلمات رب الله تعالى.

ولكنه تعالى بمحبته.. مكّن عبده المسلم، المخلوق الضعيف الفاني؛ بأن ينطق بلسانه اللّحمى الضعيف كلامه تعالى.. أي قرآنه.. وصدق تعالى حين قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

فهي معجزة المعجزات بأن ينطق العبد بعض كلام الرب المنزّه الذي ليس كمثله شيء..

فسبحان الله وبحمده.. الكريم دائمًا معنا فهو الحنان المنان الرحيم بنا وعلينا.

سبحانه هو الله.. نور السموات والأرض.. فهو تعالى النور والذي منه كل نور..

كذلك كلامه أي قرآنه نور لا يتحمله العبد في سرّه ونوره وباطن معناه وحقيقته إلا نور يكون مثله من نور الله تعالى.. لذلك فبواسع علمه المنزّه، ورحمته الواسعة.. علّم سبحانه القرآن بنوره وسرّه وحقيقته وباطن معناه كله.. فقط لمن يمكن أن يتحمل ذلك.. وكانت فقط هي الأرواح في عالم الذرّ، لأنها نور من النور الأول المحمدي.. الذي هو قبضة من نور الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

أما كل المخلوقات الهيكلية المجسدة فهي لا تتحمل ذلك.. ولكن تتحمل فقط ظاهر القرآن في حرفه وكلماته وظاهر معناه .. وهو ما يسمّى بالبيان والشريعة لذلك صدق الله تعالى حين قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ [أي السرّ ونوره وباطنه] عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

ولذلك بعد أن خلق الله تعالى هياكل الإنسان ودخول الروح فيها ونزوله على أرض الدنيا علّم الله تعالى الإنسان فقط علم البيان أي البيان القرآني فقط.. أي نصه ومعناه الظاهري الشرعي، أي رسمه وحرفه وكلماته وظاهر معناه فقط.. لأن الإنسان بجوارحه الحسّية والمادية من عقل وخلافه.. لا يتحمل أكثر من ذلك .. لأنه ليس أقوى من الجبل..

أما روح القرآن.. أي سرّه ونوره وحقيقته وباطن معناه.. فقد عَلِمَتْه الروح وهي نور من ربها سابقًا وهي في عالم الذر قبل عالم الدنيا أي قبل خلق هيكل الإنسان الذي هو من التراب.

لذلك قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

فما المقصود؟ وما هو الشيء الذي يمكن أن يتذكره فرعون؟ .

والإجابة هي: لعله يستقيم فتستطيع روحه أن تَذَكّر عقله بأن ربه واحد لا إله غيره ولا ربّ ولا يُعْبَد سواه.. وهو رب العالمين.. وهو الله الواحد الذي لا شريك له.. إله ورب كل شيء..

ومعنى ذلك أن روح فرعون من ضمن أرواح جميع عالم الذر أيضًا، والتي حضرت ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وهي نقطة الارتكاز في التوحيد والعقائد في كل الكتب السماوية.. بما فيها خاتم الكتب وناسخها «القرآن الكريم» لأنها كلها تدور حول لا إله إلا الله رب العالمين لا شريك له.

لذلك من أسماء القرآن الكريم وصفاته أنه «ذكر» و«تذكرة» ..

لمن هذه التذكرة؟؟ .

لمن هداه الله أن يتذكر عقله السوى، ويتقبل ما حوته روحه في الأزل سابقًا في عالم الذر بأن ربنا الواحد الخالق هو الله والله الواحد الأحد هو رب العالمين الله الرحمن الرحيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ

مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

وصدق الله تعالى حيث أجمل كل هذه المعاني السابقة في أول سورة «الرحمن» وفرق بين القرآن.. في حقيقته ونوره وسرّه الذي عُلِّم للأرواح في عالم الذرّ، وبين بيان القرآن الذي علّمه الله تعالى للإنسان بعد خلقه جسديًا، وذلك بنزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ بخاتم الكتب القرآن الكريم والذي قال تعالى في أول سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١-٤].

فالحمد لله كثيرا.. والله أكبر كبيرا.. وسبحان الله بكرةً وأصيلا..

فسبحانه.. كما كرّم الرسل من بين جميع الأنبياء، وكرّم الأنبياء والأولياء من بين جميع الخلق، كذلك كرّم الله تعالى القرآن على جميع الكتب السابقة، كما كرّم دين القرآن وهو الإسلام على جميع الأديان السابقة، كما كرّم نبي القرآن والإسلام نبي الرحمة الخاتم سيدنا ومولانا محمد ﷺ وجعله خاتم وإمام الأنبياء والمرسلين وسيد وأسعد الخلق أجمعين.

فالحمد لله أن مَنّ علينا فوهب لنا منه تعالى تمام النعمة وعظيم الفضل بهذا الكتاب والنبي والدين .. هذا كله دون جهد أو اجتهاد منّا ولا استحقاق.. فجعلنا بمحض إحسانه القديم تابعين لدينه دين الإسلام،

وكتابه القرآن الكريم، ولنبيه وحبيبه سيدنا ومولانا محمد ﷺ سيد الأنام حبيب ورحمة الله الرحيم الرحمن.

وصل الله على سيدنا ومولانا محمد الذي خصّه الله تعالى وحده دون الخلق بأن ينزل القرآن في حقيقته وباطنه وسره ونوره بالإضافة إلى بيانه على قلبه الشريف.. أما باقي الخلق من أهل القرآن والإسلام فالقرآن أولا في صدورهم وليس في قلوبهم ثانيًا كبيان عقيدة وشريعة وفروض وأحكام ووعد ووعيد إلى آخر ما تضمن القرآن دون حقيقته وسره ونوره.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال أيضًا عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

فقلب الحبيب لأنه نور الأنوار ﷺ فهو المؤهل الوحيد لروح نور القرآن في سرّه ونوره وعلم حقائقه وباطنه مع بيانه أيضًا أي ظاهر معناه وشريعته بعد خلق هياكل الإنسان.

أما المسلمون فلا يتحملون إلا البيان في صدورهم فقط.. إلا مَنْ رحم ربي من أحبابه وأوليائه، فيعطيهم مع البيان ما شاء من علم القرآن.. أي من علم الحقيقة ولكن في صدورهم وليس في قلوبهم بما شاء وكيف شاء.

فصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النور الذي حمل نور القرآن في قلبه وصدره.. باطنه وظاهره.. حقيقته وشريعته.. وسمعناه من فمه ولسانه الشريف... وكان خلقه القرآن فهو ﷺ نور وقلبه الشريف نور والقرآن الكريم نور كل ذلك من نور الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

فصلوات الله وسلامه عليك يا أسعد الخلق وسيد الآنام.. يا سيدنا ومولانا وشفيعنا وطبيبنا وضميننا وحبيبنا..

يا مَنْ أنت نور الله.. أنزل عليك نور كلامه وقرآنه.. فأَدْرِكنا بحبّك .. وأشفع لنا لنكون من أهل خاصتك وإتباعك ومن أهل القرآن الكريم في العمل به وملازمته وحبه؛ حتى برحمة الرحمن الرحيم وشفاعة كتابه تعالى وحبيبه ﷺ نفوز بحب الله ورضاه وتقواه ، والنظر إلى وجهه الكريم في الفردوس الأعلى.

وبعد..

ونبدأ بإذن الله تعالى وتوفيقه، وببركة الحبيب المصطفى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نبدأ بالموضوع الأول في هذا الفصل الثاني وهو كمدخل عام:

أولاً: أهم المعاني التي يجب أن يحيط بها المسلم حول القرآن الكريم. (بشكل إجمالي وموجز عام)

ونبدأ بخير الحديث والهدى بعد القرآن الكريم ببعض من الأحاديث الشريفة، لعل بركتها ومسك نورها تنير قلوبنا وتبارك استفتاحنا لهذا الموضوع ...

قال ﷺ:

« ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » (أو كما قال ﷺ).

أي: (السنة الشريفة)، التي تعتبر مع القرآن الكريم وبعده المصدر الرئيسي للدين الإسلامي الحنيف:

١) « خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه » . (أو كما قال ﷺ).

من حيث الترتيل وتوضيح أحكامه في العقيدة والشريعة والأخلاق بالإضافة إلى أحكام الترتيل والتلاوة.

٢) « أقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (أو كما قال ﷺ)..

أي: قراءة تعبدية يومية بتدبر والعمل بأحكامه .

٣) « إن لله أهلين من الناس، هم أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته » أو كما قال ﷺ ..

قيل أن أهل الله في هذا الحديث الشريف وهم أهل الله، وخاصته تعني مَنْ أحبوا القرآن فأحبهم، وصاحبوه فصاحبهم،

ولازموه فلازمهم، وعملوا بأحكامه وآمنوا بشرائعه خلقًا وفعلاً وحياتًا ومعاملة وعبادة فأصبح القرآن أنيس ورفيق وشفيع ونور لهم أينما حلّوا في الدنيا والبرزخ والآخرة » .

٤) « مَنْ لازم القرآن لم يرد إلى أرذل العمر » (أو كما قال ﷺ) ..

قراءة بعينه ولسانه وأذنه يوميًا بأي قدر وحفظه أو ما تيسر منه .

٥) إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب (أو كما قال ﷺ).

٦) «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » .

(أي يكشف له عن نور ملائكة القرآن ويكون في صحبتهم).

« والذي يقرأ القرآن ويتعتع فله أجران » ..

(وهذا تحفيز لمن لم يتعلم التلاوة) ، (أو كما قال ﷺ).

٧) « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله.. يتلون كتاب الله (أي يسمعونه)، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». (أو كما قال ﷺ).

أي زكاهم في الملأ الأعلى من الملائكة بأسمائهم وقرّبهم وأحبهم تعالى»

[وصدق سيدي رسول الله ﷺ].

أولاً: التعريف المجمل للقرآن الكريم

١) **هو خاتم لجميع الكتب** والصحائف والرسالات والأديان السماوية السابقة عليه كلها ما نعلم وما لا نعلم.

فلا كتاب بعده، ولا دين بعده، ولا نبي ولا رسول بعد خاتمهم وسيدهم وإمامهم سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وتبعًا للمعلوم بالضرورة فالكتب التي نزلت هي:

١- على سيدنا موسى كتاب (التوراة).

٢- على سيدنا داود كتاب (الزبور).

٣- على سيدنا عيسى كتاب (الإنجيل). [عليهم السلام جميعا].

وكل هذه الكتب ناسخ لها ومهيمن عليها الفرقان [أي الآيات والسور في القرآن والتي تتضمن الأحكام والتكاليف والحلال والحرام والأوامر والنواهي، فالفرقان ضمن القرآن الكريم وهي السور والآيات المحكمة التي تبين وتوضح وتفرق بين الحق والباطل.

فكل الكتب السابقة كأنها تعدل جزء فقط من جملة القرآن الكريم.. وهو ما يسمى بالفرقان.. أي الفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، أي الأحكام والأوامر والنواهي.

أما القرآن الكريم كله بفرقانه لا يعدله شيء من الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

فالقرآن دون الفرقان بشير. والفرقان وحده نذير. وهما معًا بشير ونذير.

أما الصحف.. فهي نزلت فقط على سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.. وهي تتضمن كلها حكم ووصايا ربانية وليس شرائع وأحكام.

أما الألواح.. وهي أصل التوراة.. فنزلت على سيدنا موسى ورُفِعَ بعضها، (وما رُفِعَ ضُمّ للقرآن الكريم).

وكل الألواح والكتب والصحائف نزلت جملة واحدة في مرة واحدة على الرسل بعكس القرآن الكريم الذي نزل منجمًا أي على فترات وأوقات مختلفة تبعا للأحداث وأجابة وتوضيح شرعيّ لها...

٢) القرآن الكريم شاهد على الكتب السابقة ومصدق بما فيها بالذي لم يمسسه أي تحريف، كما إنه حاكم عليها، وناسخ لها كلها، ومهيمن عليها كلها.

٣) القرآن الكريم المصدر الأول والأساسي للدين الإسلامي، ومعه وبعده السّنة المطهرة الصحيحة (قولاً وفعلاً وتقريرًا) وقد ضمن الله تعالى حفظه بأسباب ظاهرة وخفية إلى أوقات آيات آخر الزمان.. فيرفع من الصدور لمن كان حيًّا في الدنيا.

٤) بالقرآن الكريم وحضرة النبي الخاتم ورسول الرحمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ .. **أكمل الله تعالى دينه وسمّاه دين الإسلام**.. فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وأتم نعمته به على الخلق، ورضي لهم هذا الدين والرسالة والرسول ومَنْ آمن بها ... فقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. رضينا بالله تعالى ربًا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا ومولانا محمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

٥) القرآن الكريم كله معجز في لفظه ومعناه وعلمه الكوني وكل شيء فيه، ويَتَّعبّد به ولا يمسه إلا المطهرون، أما ناكره والجاحد به.. كافر.

والكون كله من بين السموات والأرض وما بينهما هو قرآن منظور ومشاهد يتذوقه ويتعبد به كل متأمل ومتفكر في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان لأنه دال ودليل وبرهان على الخالق المدبر القدير العظيم وهو الله تعالى الواحد الأحد لا شريك له.

٦) القرآن هو من ضمن **كلام الله تعالى** وليس كل كلام الله، وكلامه تعالى ضمن أحد صفاته وليس كل صفاته عز وجل..

أما كلامه تعالى فهو لا ينفد.. ولا أول له ولا آخر قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

ولكن القرآن هو من هذا الكلام الرباني الإلهي الأزلي الذي خرج من أم الكتاب العليّ الحكيم ونزل به الروح الأمين.. أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام.. على قلب رسول الله ﷺ .. تلقينًا وسماعًا وقراءة في القلب والصدر والعين واللسان والأذن والعقل..

والحبيب ﷺ هو المؤهل الوحيد في الخلق أجمعين من ملائكة وأنبياء ورسل وجميع المخلوقات الذي أهّل الله تعالى قلبه الشريف ليتحمل حقيقة القرآن.. لأنه ﷺ في علم الحقيقة الأزلي هو قبضة من تجليات نور ذات الله تعالى، فالذات القدسية العلية المنزه لا يدخل عليها شيء ولا يخرج منها شيء لها الكمال والجلال المطلق المقدس المنزهة تبارك وتعالى سبحانه..

والقرآن في علم الحقيقة الأزلي هو نور من أحد صفات الله وهي الكلام والتي هي نور من ذات الله، وكلام الله تعالى وكذا صفاته وأسمائه الدالة على ذاته تعالى ليس كمثلها شيء ولا أول ولا أخر لها سبحانه الأول الأخر الظاهر الباطن.

لذلك فلا يتحمل النور إلا النور.. فهو ﷺ من نور تجلّي أسماء الذات.. والقرآن الكريم هو نور من الصفات والأسماء الدالة على الذات العليّة.

ولذلك فالقرآن نزل كله في قلب رسول الله ﷺ جملة وتفصيلا، ظاهره وباطنه، حقيقته وسرّه وأيضًا بيانه.. والقرآن الكريم لو نزل بنوره وسرّه على جبل لتصدّع وزال عن الوجود (كما سبق أن شرحنا).. ولكن القرآن الكريم في صورته كبيان.. كان هو المؤهل ليكون في صدور المسلمين وليس في قلوبهم، على أساس البيان الذي هو ظاهر القرآن وشرعته في العقيدة والشريعة، وهو رسمه وحرفه وكلماته وظاهر معناه، وأساس أحكامه وأوامره ونواهيه وحلاله وحرامه وتكليفاته أما باطنه من سرّ ونور وعلم رباني وحقيقة فكانت من نصيب الحبيب ﷺ روحًا وجسدًا كما كانت من نصيب الأرواح في عالم الذر.. باستثناء من اجتباهم الله تعالى في الدنيا فنضحت أرواحهم بما تحمل من بعض نور القرآن على صدورهم وعقولهم.. فأصبحوا من أهل العرفان لروح القرآن وحقيقته ونوره وسرّه وكذا أيضًا بيانه وظاهره وذلك بما شاء الله لمن شاء الله بالقدر والكيف الذي شاء الله تعالى به عليهم.

٧) القرآن الكريم يتضمن في الأساس المعرفة والتعرف بالله تعالى رب العالمين واحد أحد لا شريك له وكذا باليوم الآخر من الموت بل البعث الخ.

ويجب أن نتأدب مع الله في التعرف عليه تعالى به إليه تعالى كما أراد هو تعالى أن يعرف ويُعَظّم نفسه تعالى .. وليس كما نعقل نحن أو نريد أن نعظمه بهوانا وعقولنا بما لم يرد سبحانه وتعالى.

كذلك تفضل تعالى علينا ولنا وإلينا بما أراد من توضيح بعض صفاته وأسمائه وأفعاله وليست كلها بالطبع، فالقرآن تأكيد على العقيدة في التوحيد والوحدانية والألوهية والربوبية وبراهين لنفي الشرك بالكلية.. بالإضافة إلى الشريعة بما تتضمن من معاملات وإرث وحياة وعمل، وحياة للأسر والأخلاق.. بالإضافة إلى الآخرة والوعد والوعيد، والقصص التي هي أساسها العبرة والعظة وأمثلة للقدوة الحسنة.. بالإضافة إلى كل الأحكام العبادية والمعاملاتية والأخلاقية والأوامر والنواهي، والتحصينات، وبعض آيات الشفاء الخاصة بالروح والقلب والنفس في الأساس والتي لا تلغي الطب العلمي العضوي مطلقًا بل التطبيب سنّة شريفة فالقرآن شفاء للأرواح والقلوب والنفوس وليس علاجًا للأبدان.

كذلك يتضمن القرآن الكريم الجهاد وحياة الدنيا، وآيات آخر الزمان، والموت والبرزخ، ومشاهد الآخرة من الجنة والنار.. بالإضافة لتحديد من هو عدوك وهم ثلاث: النفس وهواها، والشيطان وفتنة الدنيا والخلق.

ثانيًا: بعض أسماء القرآن الكريم

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

فالفاتحة والكتاب معًا اسمهم الكتاب.

وقد سُمّى القرآن.. لأنه يُتْلى ويَقْرأ بالألسن.

وسُمّى الكتاب.. لأنه يُدَوّن بالقلم.

وسُمّى المصحف.. لأنه يجمع صحائف وصحف تبدأ بالفاتحة وتنتهي بسورة (الناس).

ومن أشهر الأسماء والأوصاف للقرآن الكريم على سبيل المثال وليس الحصر:

١) الفاتحة:

من ضمن أسمائها الشريفة:

أم الكتاب - سورة الصلاة - سورة الحمد - سورة المناجاة بين العبد وربه -سورة الشفاء - سورة الفرض - سورة الشافية والكافية والعافية - والرحمة والبركة - والميثاق - والمفرجة - والدعاء - والشافعة..

٢) أما الفاتحة والقرآن معًا أي الكتاب:

فمن أسماء الكتاب المشهورة وليس كلها:

نور – هدى – رحمة –شفاء – بشرى – ذكر – تذكرة – تنزيل – برهان –مبارك – مبين – موعظة – بيان –بشير ونذير – حق – عظيم –كريم – مجيد – عزيز حكيم...

٣) وصدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] .

أي : كلامه المباشر للخلق في القرآن.

وأيضًا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢].

أي: كلامه عن طريق (قل) أو للنداء ﴿يا أيها المؤمنون﴾ أو الإجابة على سؤال أو حدث أو موقف.

ثالثًا: نزول القرآن وتنزيله

القرآن عند الله تعالى كما ذكرنا.. هو بعلم الله الأزلي كما هو بين أيديكم الآن بنفس الترتيب تمامًا بتمام.

خرج من أم الكتاب العليّ الحكيم.. ونزل بمشيئة الله تحيطه ملائكة خاصة تسمى بالسفرة المكرمين إلى السماء الأولى في مكان مقدّس طاهر علّي محفوظ يسمّى « بيت العزة » .

وحينما شاء الله تعالى بداية الرسالة الإسلامية كان أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام ينزلِ على رسول الله ﷺ بالقرآن منجمًا أي متفرقًا وليس جملة واحدة أو سور كاملة، كما أنه ليس بترتيبه الأزلي أو الحالي الذي معكم.. ولكن طبقًا لكل حدث أو رد على كل سؤال.. كانت تنزل آيات أو آية بخصوص ذلك.. وذلك تيسيرًا وتمشيًا مع واقع الإنسان في حياته وأسرته، وعمله وجهاده وماله ومشاكله.. وآداب طعامه ونومه، وعلاقاته الحميمة وأولاده، وكل شأن يتصل المسلم والمسلمة.

ويوجد استثناء بأن هناك سور كاملة قليلة نزلت جملة واحدة منها على سبيل المثال سورة الرحمن.

وبهذا الشكل المعجز الذي انفرد به القرآن الكريم دونا عن باقي الكتب السماوية.. حيث أن جميع الكتب السابقة نزلت جملة واحدة، ولكن بهذا التخصص المميز للقرآن أصبح القرآن الكريم يسير مع واقع الحياة كحلول وإجابات فورية لكل حدث.. سواء من سرّاء وضراء،

وشبع وجوع، وصحة ومرض، وغنى وفقر، وعاقبة وبلاء، وجهاد وعمل، وميراث، وزواج وطلاق وأولاد، وحياة وممات.. وكل ثانية وساعة من حياة كل رجل وامرأة وصبي.. وكل مجتمع سواء كان في النوم واليقظة، والعبادة والعادة، والطهارة، والسفر والشراء والتجارة، والعمل والمعاملات الزوجية والأسرية.. وكل شيء. والقرآن الكريم لم يترك ولم يفرط في شيء كقواعد عامة..

أما التفصيل فهي من خصوص الحكمة أي السّنة المطهرة الشريفة الصحيحة.

ولكن بعد نزول القرآن الكريم منجمًا، كان يعاد ترتيبه كله في شهر رمضان الكريم من سيدنا جبريل على حضرة النبي ﷺ حتى شهر رمضان قبل انتقاله إلى رب العالمين ﷺ روجع مرتين فأصبح كما هو في أيديكم الآن.

وقد نزل أول القرآن الكريم في ليلة مباركة.. كما ذكر في أول سورة «الدخان» وحددت هذه الليلة بليلة القدر أحد ليالي الوتر في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، كما ذكر في سورة «البقرة» و«القدر»

وكان أوله نزولاً وتنزيلاً: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ بالإجماع.

أما ختامه: وهو على خلاف أشهره وهو إما سورة «النصر» ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ والرأي الآخر هي آية سورة «المائدة» ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، وهما أشهر واجمع ما قيل في أول التنزيل والنزول، وآخره وختامه.

رابعًا: أشهر ما قيل في أسماء السور، ومعنى الآية والسورة والحرف

(أ) السور:

١) في الأغلب سميت السور بأسماء استفتاحاتها ..

مثل .. [الأنفال- طه- الإسراء].

فيما عدا أربع سور هي:

[البقرة- آل عمران- المائدة- الكهف]، تقريبا.

ولذلك قال البعض أن أهل علم تاريخ نزول الآيات يقولون:

أن أول آيات سورة (البقرة) نزولاً كانت «آيات البقرة» وآية «الكرسي»، وأول آيات سورة (المائدة) نزولاً كانت «آية المائدة» والتي هي آخر آيات سورة «المائدة».. وهكذا..

ولكن بعد ترتيب الآيات والسور الترتيب الإلهي الرباني التوقيفي والذي راجعه جبريل عليه السلام مع حضرة النبي ﷺ مرتين في عام انتقاله إلى الرفيق الأعلى.. أصبح القرآن الكريم والكتاب والفرقان هو كما هو في الأزل عند الله تعالى في أم الكتاب العليّ العظيم وأيضًا كما هو بين أيدينا الآن.

٢) قسّمت السور إلى ثلاثة مسميات هي، تقريبًا الآتي:

١- **الطوال**: وهي: البقرة- آل عمران- النساء- المائدة- الأنعام والأعراف.

٢- **المتوسط**: وهي السور ذات المائة آية أو تزيد عنها قليلاً.

٣- **المفصّل**: أواخر القرآن الكريم من سورة (ق) أو (الحجرات).

وتقسم إلى:

- مفصّل طويل ـ من (الحجرات) إلى (البروج).
- مفصّل وسط ـ من (الإنسان) إلى (الطارق).
- مفصّل قصير ـ من (الزلزلة) إلى (الناس).

- وسُمّيت السورة (سورة) لأنها كالقصر المحاط بسور يحفظها ويميزها عن القصور الأخرى سواء في أنوارها الباطنة أو معانيها الظاهرة.

- والآيات والسور جُمِعَت في ثلاثين جزء.

- وأقل مدة لختم القرآن الكريم هي ثلاثة أيام.. وقد نهى الحبيب ﷺ على أن تكون أقل من ذلك والأفضل والأكمل هو كل أسبوع - ولكن بالنسبة لظروف وضغوط الحياة العصرية فيكون ختم القرآن على الأقل مرة كل شهر أو عام في الظروف الصعبة.

(ب) الآية:

هي جماعة من حروف وكلمات القرآن، وقد تكون كلمة واحدة.. ولكنها كاملة معجزة تامة المعنى.. اسم أو جملة أو مبتدأ وخبر.

- وأقل آية هي ﴿ يسٓ ﴾

- وأطول آية هي (٢٨٢) سورة البقرة.. (العقود).

كما أن كلمة « آية » عمومًا لها معاني قرآنية أخرى منها مثلاً:

١- بمعنى علامة: مثل « آية ملكه » .

٢- بمعنى معجزة أو عبرة: مثل ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ .

٣- بمعنى دليل وبرهان: مثل ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وأول من جمع القرآن الكريم كسور متفرقة هو سيدنا أبو بكر ﷺ .

وأول من جمعه كاملاً كمصحف شريف هو سيدنا عثمان بن عفان ﷺ.

وتم حرق جميع المصاحف الأخرى.

(ج) الحروف في أول السور:

١- البعض اعتبرها حروف لغة، وبهذه الحروف تمت معجزة القرآن.. وهو رأي سطحي لا يعترف به أهل الله من الأولياء والعارفين لأنه دون الدخول في تفصيل الرد على هذا الرأي فمثلا إن كان كما يقولون فلماذا

كرر الله تعالى بعض الحروف ولم يكرر البعض مثلا مثل بعض الحروف (الم) وحم، الخ. وذلك على سبيل المثال السريع فقط.

٢- أما أهل العلم والحقيقة.. اعتبروها لها سرّ ومعنى خفيّ يُطلع الله به على مَنْ يشاء من عباده - وقالوا بعد حذف المكرر من هذه الحروف تكون اجتهادا منهم يحمل الخطأ والصواب [نصٌ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌ]، وهي تعني وصف ما للقرآن الكريم بعظمته ومعجزته وسرّه.

٣- وأهل الله تعالى أخذوا بالأحوط.. فذكروها في أورادهم وتحصيناتهم بلا تفسير أو تأويل.. فهي في النهاية قرآن كريم، وكل حرف له عشر حسنات.

(د) الأحرف السبعة:

هي عبارة عن اختلاف اللهجات والنطق للحروف والتشكيل يتفق مع كل أمم العرب في كل مكان مع وجود اللهجات المختلفة - قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ ولم يقل قرشيًا.

وحصر أهل العلم الاختلاف في الأحرف السبعة في الحروف الآتية والتي ينطق بها بلهجة وأشكال مختلفة وهي: [الهمزة- الحاء- العين- القاف- الضاد- الطاء- الفاء].

خامسًا: المكي والمدني

كانت الهجرة حدًا فاصلاً بين عهدين..

عهد حديث بالدين بمكة المكرمة، كانت الدعوة سرّية في أغلب الأعوام الثلاثة عشر مع وجود عذاب المشركين للمسلمين في مكة.

وآخر هو عهد تأسيس دولة المدينة التي أصبح لها نظام ودستور بعد الهجرة، وبداية الجهاد، وبداية ظهور المنافقين من المسلمين واليهود.. وبداية التشريع والأحكام في العبادات والمعاملات باستثناء الصلاة التي فرضت في مكة مثل الزكاة والصوم والحج إلى آخره.

وبشكل عام:

- فإن الآيات والسور المكّية في الأغلب تكون قصار، مركزة على التوحيد، نافية للشرك بالبرهان، موضحة حقيقة الدنيا والموت وما بعد الموت من بعث وحساب، ونعيم وجنة، وعذاب ونار، أي السور المكية عقيدة في الأساس.

- أما السور والآيات المدنية فركزت على الشريعة من أحكام ونواهي وأوامر، وحلال وحرام، ومعاملات وجهاد وفضح للمنافقين واليهود، وتحفيز لجهاد النفس والإيمان والتقوى واليقين والإحسان.. مع تعريف أعمق بصفات وأسماء الله تعالى.. بالإضافة للخُلقُ القرآني الربّاني الذي

يريده الله أن يتخلق به كل مسلم وفيها كل وكامل التشريع من أحكام وتكليف وفروض وأوامر ونواهي وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

١) بدأ الوحي سنة ٤١ من ميلاد الرسول ﷺ.

- هجرته أول ربيع الأول سنة ٥٤ من ميلاده الشريف.

- وكان خروجه من مكة ١٧ صفر من نفس العام.

- ثم انقطع الوحي بانتقاله ﷺ للرفيق الأعلى بعد ١٠ سنوات من الهجرة. (مدة المدينة).

٢) وبناء عليه يكون:

- العهد المكّي ١٢ سنة + ٥ شهور + ١٣ يوم.

- العهد المدني ٩ سنوات + ٩ شهور + ٩ أيام.

٣) عدد آيات القرآن الكريم ٦٢٢٦ [البعض يقول أنها ٦٢٣٦] (والخلاف نشأ من الوقف وفواصل الآيات).

١١٤ سورة :-

٢٣ مدينة = ١٤٥٦ آية

٩١ مكية = ٤٧٧٠ آية.

سادسًا: الناسخ والمنسوخ

١) الكتب السماوية الأحدث تنسخ دائمًا القديم السابق لها من الكتب.

فالقرآن ناسخ لما قبله تمامًا.

٢) في القرآن الكريم .. لحكمة التيسير والواقع والتدرج والرحمة.. نسخت بعض الآيات ببعض آخر .. في ٢٠ آية تقريبًا - مثل آيات الخمر مثلاً.

والقرآن ينسخ بعضه بعضًا..

ولا تنسخ السنة الشريفة آية في القرآن (وهو الرأي الأرجح).

قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

والنسخ عبارة عن: رفع حكم شرعي سابق بفرض لاحق يتفق مع الزمان والإنسان حتى يوم الساعة..

وهو عبارة عن محو حكم مع بقاء تلاوته بحكم آخر قرآني.. أي تستمر تلاوته مع عدم العمل بأحكامه..

أمّا الآيات الناسخة فهي تتلى ويؤخذ بأحكامها.

٣) لا يصح لأحد أن يؤول أو يفسر القرآن الكريم اجتهادًا دون الإلمام تحديدًا وتقريبا بالآتي: بالسنة المطهرة كاملاً، واللغة العربية كاملاً، والتنزيل وأسبابه كاملاً، والناسخ والمنسوخ كاملاً، والتفسير اللغوي واللفظي لكلمات القرآن كاملاً، وعلى أن يكون من أهل التقوى والاستقامة، ويكون من أهل حب رسول الله ﷺ، [وأخيرًا أن يأذن بذلك من الحبيب شخصيًا ﷺ].

وأنواع التأويل والتفسير هي تقريبا بشكل إجمالي:

٤) أ - تفسير القرآن بالقرآن يسمى «تأويلاً» .. وهو أصح الأمور بالإجماع.

ب- تفسير القرآن بالسنة يسمى «الرواية».. ويليها في الصحة بالإجماع.

ج- تفسير القرآن على ما استنبطه الصحابة الكرام تأكيدًا.. يسمى «تفسير» ويليهم في الصحة بالإجماع.

د- اجتهاد مجمع عليه من علماء الأمة يتفق مع متطلبات العصر دون مساس بأحكام الفروض.

هـ- تأمل وتفكر وتدبر وواردات خاصة فرديّة تسمى «نظرات وخواطر وهوامش خاصة بأصحابها».

ولا تقال للغير إلا بإذن من الله تعالى ورسوله ﷺ .. على ألاّ تكون في الأحكام والتكاليف أي في المحكم من القرآن فقط وكذلك المتشابه، ولكن فقط حول بعض العبر من القصص القرآني...

٥) وأشرف وأكرم الأمور كلها في قراءة القرآن أن يكون القارئ له متبرئ من الحول والقوة لله تعالى مع ضرورة التدبر فيه، ويسأل الله تعالى أن يعطيه مراده تعالى منه له .. مع الأدب بالإذن والفاتحة والصلاة على الحبيب المصطفى لأننا لم نعرف أو نسمع القرآن إلا من فمه الشريف ﷺ .

كل ذلك تمهيد وإعداد للهدف الرئيسي في القرآن وهو إيمان ويقين في العقيدة، وعمل وتطبيق للشريعة في الأحكام والأوامر والتكاليف والتصديق به وفيه في كل حرف.

سابعًا: أمور هامة حول القرآن الكريم

أولاً:

كل الكتب السابقة جُمعت في القرآن وأضيف عليها..

وكل القرآن جمع في الفاتحة وأضيف عليها، وهي فرض الصلاة، والفاتحة توقيع وإقرار واعتراف بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ .. أي [رب وعبد، وحق وخلق] بينهما وصل وحب وتواصل وصلاة.. وهو يمثل حوار إلهامي ثنائي حقيقي صادق بين الرب والعبد..

فالفاتحة هي الوحيدة التي قسّمت بين الله والعبد. كما ورد في الحديث القدسي:

عن أبي هريرة ﷺ: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«قال الله تعالى: قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين.. ولعبدي ما سأل: فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله: حمدني عبدي.

وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله: أثنى عليّ عبدي.

وإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال الله: مجّدني عبدي.

فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل.

فـإذا قـال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

وأضيف في الأثر ما هو غير مؤكد فإذا قال: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ - قال: كفيت عبدي هذا.

فإذا قال عبدي: «آمين» قُبِلَ دعائك وصلاتك وعبوديتك لي وقُبِلَ رجاءك وفزت وطبت.

والفاتحة جمعت كل معاني العقيدة في التوحيد في وحدانيّة الألوهية والربوبية مع نفيّ الشرك بالكلية ومع خالص العبادة والتقديس له وحده تعالى، مع ضرورة التوكل عليه والاستعانة به وحده تعالى فلا نستطيع أن نعبده إلا بالتوكل عليه وعونه ومعونته.

وأيضًا ذكر الصراط المستقيم وهو أنه يعني الاستقامة في الدنيا فمن وفق في هذا كان صراطه في الآخرة معبر سهل يسير إلى الجنة».

ثم ذكرت الفاتحة أشمل وأكمل وأتم وأجمل دعاء وهو: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لأن ليس كل الملائكة أو الأنبياء أو الأتقياء أو الأولياء من الذين أنعم الله عليهم..

فهذا اجتباء رباني ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾.

فكلمة (مِنْ) تعني بعض من كل (البعضية).

وحدد الله تعالى ذلك ووضحه في قرآنه تعالى حيث قال عز وجل:

(١) في سورة «النساء»: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

(٢) سورة «مريم»: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ - ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ﴾ - ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ﴾ - ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ﴾

(٣) وباقي سورة «مريم»: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ ﴾ .

ويلاحظ (مِنْ) في سورة «النساء» شملت بعض من ٤ فئات..

و(مِنْ) في سورة «مريم» شملت بعض من ٤ فئات، وكذلك ٤ أصول لفروع.. سبحانه وتعالى - وهذا معنى تفسير القرآن بالقرآن.

ثانيًا:

ثم جمعت الفاتحة كلها بجمالها وسرّها ونورها وكمالها وبهائها وسلطانها في البسملة .

فالبسملة بها سرّ كامل لباطن الفاتحة.. ولها من الأسرار مالا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله ﷺ ومن شاء من خلقه..

- والفاتحة بها سر كامل لباطن القرآن الكريم - أي أصل كتاب علم الحقيقة والحقائق.

- بالإضافة إلى تأمين الدعاء في الفاتحة (آمين) والتي لم تأت في القرآن.. ولكنها ختم رجاء وقبول للدعاء في كل الكتب والأديان السابقة.

ثالثًا:

الكتاب أي القرآن هو ربيع للقلوب، وكشف للحزن والغمّ والكروب، وشفاء للسقم والمرض والضرّ، ونجاة من المهالك، وشرح للصدور، وجلاء للبصر، ونور للبصيرة وكشف للغيوب، وشفيع عند الميزان، ونور ودليل على الصراط إلى الجنة، وبشرى وحفظ وتحصين وشفاء، ومغفرة ورحمة وعفو وحب وكشف ونور لصاحبه لله، من الله، إلى الله تعالى.. وكما ورد في الدعاء النبوي الشريف:

[اللهم نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أبصارنا، وذهاب أحزاننا وهمومنا وغمنا].

رابعًا:

القرآن يُحِبّ من أحبَهُ، ويصاحب من صاحبه ولازمه وعمل به، فهو

حيّ من الحيّ الذي لا يموت سبحانه، وفي نفس الوقت (لا قدّر الله) القرآن يكون عمى وحجاب لأهل القلوب القاسية والظالمة والتي تركت القرآن مهجورًا.. فيصبح لعنة عليهم في دنياهم وبرزخهم وأخراهم.

خامسًا:

تعلُّم التلاوة الصحيحة بأحكامها.. سنّة مؤكدة.. وعند البعض فرض واجب..

أما حفظه فهو سنّه غير مؤكدة.. ولكن مستحب..

ولكن من المؤكد والفرض الواجب الذي ليس عليه خلاف بل- إجماع.. هو التدبر في آياته، والتأمل والتفكر في كل حرف ومعنى فيه.

والأهم في هذا هو التطبيق العملي له.. خُلُقا، وعادة وعبادة، ومعاملة، لما في القرآن كاملاً من عقيدة وشريعة وخلق وأحكام وعبر ووصايا ووعد ووعيد.

سادسًا:

اقرأ القرآن وكأنه أنزل لك وحدك، يخاطبك أنت وحدك، كخطاب غرامي ملئ بالمحبة لمن أحبك، ولذلك خلقك..

فأحبه أنت كذلك، لأن الكلام من حبيبك الله – ومن أحب حبيبًا .. أحب كلامه وخطابه سمعًا أو تلاوة أو ذكرًا..

حتى إذا عشقته وأحببته وصاحبته ولازمته كان هو لك كذلك..

فإذا عملت به عملاً ونيةً.. فطوبى لك وطوبى لك.. وطوبى فأنت من أهل الله وخاصته وأحبابه وعشاقه تعالى.

سابعًا:

١) الكتاب - القرآن الكريم - المصحف الشريف.. كلام الله المكتوب المقروء بين أيدينا..

٢) الكتاب - القرآن الكريم - المصحف الشريف.. يرى كاملاً بالتأمل في الكون وفي أنفسنا.. فهو القرآن المشاهد والمنظور.

٣) الكتاب - القرآن الكريم - المصحف الشريف... في صورة الإنسان موجود فقط في أسوتنا وقدوتنا حضرة الحبيب ﷺ.. فهو قرآن يمشي على الأرض بالرحمة والعفو والبشرى والهدى خلقًا وعملاً وسلوكًا وفعلاً وعبادةً ونفعًا وحبًا ﷺ فقد كان خلقه القرآن.

وفي الختام يهمنا ذكر بعض المعلومات الهامة حول المعاني العامة للقرآن الكريم:

معلومات هامة إضافية حول المعاني العامة للقرآن الكريم:

أولاً: أنواع الوحيّ

١) وحي من الله عن طريق أمين الوحيّ سيدنا جبريل عليه السلام وهي كتب الله السماوية.

وهو أن الكلام بلفظه ومعناه من الله تعالى مباشرة لحضرة النبي ﷺ وكذا الرسل والأنبياء السابقين.

٢) وحيّ إلهامي: (دون جبريل عليه السلام)

وهو أمر من الله للتلقي دون جبريل عليه السلام - مثال:

أ - السنة المطهرة.

ب- الأحاديث القدسية والشريفة.

ج- النحل ليخرج العسل.

د- أم موسى عليه السلام حين ألقت موسى في النهر.

٣) وحي جدليّ: (دون حديث مباشر بل إلهامي)

دون كلام مباشر من الله للملائكة، وهي أوامر منه تعالى أو ما حكاه القرآن عن إبليس عليه اللعنة.

٤) وحي في صورة هواتف الحق

في قلوب أولياء الله الصالحين أو في هيئة رؤيا صادقة كمبشرات أو واردات أو بعض أنوار العلوم اللدنية والحقائق الكشفيّة.

ثانيًا: كُتّاب القرآن إبان حياة حضرة النبي ﷺ

١) الخلفاء الراشدين الأربعة:

وهم سادتنا (أبو بكر، وعمر، وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم جميعًا).

٢) سادتنا :

(بن سعيد، خالد بن الوليد، أبيّ بن كعب، زيد بن ثابت، ثابت بن قيس، عامر بن فهيرة، والزبير بن العوام).

٣) وقيل: أن عدد الكتّاب هم ستة وعشرون.

وقيل: اثنان وأربعون.

ثالثًا: مَنْ جمع المصاحف

إبان حياة رسول الله ﷺ

١) مصحف عبد الله بن مسعود.

٢) مصحف سالم بن معقل مولي أبي حذيفة.

٣) مصحف معاذ بن جبل.

٤) مصحف أبيّ بن كعب.

٥) مصحف زيد بن ثابت.

٦) مصحف علي بن أبي طالب ويسمى مصحف فاطمة عليها السلام.

ولكن في عهد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ أعدمت المصاحف كلها وأصبح مصحف واحد سمّى مصحف عثمان، وهو الذي بين أيدينا الآن.. لأن المصاحف الست السابقة لم تكن تجمع كل القرآن الكريم.

رابعًا: أنواع التلاوة والترتيل للقرآن الكريم من حيث السرعة

وهي ثلاث أنواع:

١) **التحقيق**.. وهو القراءة بتؤدة وتدبر.

٢) **التدوير**.. وهو القراءة بسرعة أكثر من السابقة [وهي مستحبة في تلاوة القرآن في الختم الجماعية].

٣) **الحدر**.. وهو التلاوة الوسط بين التحقيق والتدوير.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم..

والحمد لله بعدد مَنْ حمدك..

والحمد لله بعدد مَنْ لم يحمدك..

والحمد لله كما تُحب أن تُحمدْ..

فصلِّ اللهم على سيدنا محمد عدد علمك وكلماتك.

وصلْ اللهم على سيدنا محمد بعدد مَنْ لم يُصَلِّ عليه ومن صلى عليه..

وصلْ اللهم على سيدنا محمد كما تُحِب أن يُصَليَّ عليه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ثانيًا: الموضوع الثاني في هذا الفصل الثاني هو:

من لم يفز بشيخ وليّ مرشد فشيخه القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بواسع رحمته لم يجعل السبيل إلى محبته إلا باتباع ومحبة الحبيب ﷺ إما عن طريق:

١) ورثة نور بعض علومه ﷺ وهم من يُسمّوا بالقوم وهم أولياء الله تعالى بشكل عام، ومنهم فئة خاصة يسمى الفرد منهم بالشيخ الوليّ المرشد وهو من يأخذ بيد المريد على قاعدة الشريعة إلى حبّ الله تعالى، عن طريق تزكية نفسه وتطهير قلبه وصدق معاملته إلى أن يصل بالله إلى مقام الإحسان واليقين.

٢) ومن لم يوفق لشيخ ووليّ مرشد يكون كتاب الله تعالى العزيز أي القرآن الكريم هو بمثابة شيخه ووليّه المرشد في طريق حب الله تعالى ورسوله ﷺ وتزكية نفسه وتطهير قلبه إلى أن يصل إلى النفس المطمئنة والقلب السليم المنيب، فكما قيل في الأثر الشريف: «مَنْ لم يَفُز بشيخ وليّ مرشد، فشيخه القرآن، وإلا كان شيخه هو هواه والشيطان».

وبعد...

(١) ونبدأ بإذن الله تعالى وفضله علينا بتعريف

من هو الوليّ المرشد:

أ) الوليّ المرشد:

هو الوليّ الخبير بمعرفة مجاهدات النفس ومقامات الطريق في السلوك لحب الله تعالى ورسوله ﷺ ..

فهو طبيب القلوب والمختص بعلاج النفوس .. كذلك فهو يعطي كل سالك ومريد ما يصلح له في السلوك والترقي للوصول والفوز بحب الله تعالى وحبيبه ﷺ ..

كل ذلك بالقطع بتوفيق الله والوليّ المرشد هو مربي الأحباب على طريق حب الله بالكتاب والسنة بالمجاهدة والرياضة الروحية فقد أهله الله لذلك فزاد فوق الهداية الخاصة بالإيمان والتقوى والمحبة لله تعالى بهداية الإخلاص والصدق في التوحيد مع هُدى التوفيق قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد: ١٧] وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩].

والخبير الأول على الحقيقة هو حضرة النبي ﷺ ، ومن مدده، ﷺ ونوره وعطائه يكون أهل الولاية والرشاد.. أي الوليّ المرشد أي الخبير للتعرف على الله تعالى بالله تعالى في الله تعالى إلى الله تعالى ويأخذ بيد إخوانه على هذا الطريق وهو خبير به.. وكل وليّ مرشد هو ولي في الأساس وليس كل وليّ بالضرورة يكون وليا مرشدا.

ب) فهناك أولياء آخرون:

مثل وليّ التصريف والتمكين، ووليّ الغوث والمدد، ورجال الغيب.. (وهذا ليس موضوعنا).

ج) فلماذا حدد الله تعالى أن الخبير لابد وأن يكون أولاً وليًا، ثم أيضًا لابد وأن يكون مرشدًا؟ ؟

وما معنى الرشد والرشاد والرَشَدْ؟

ولو رجعنا لسورة «الكهف» والتي أكد الله تعالى فيها على قصة سيدنا الخضر وسيدنا موسى عليهما السلام، وأوضح لنا فيها تعالى أن:

علم الظاهر = علم الشريعة = علم الدين في عقيدته وشريعته وأحكامه.

وعلم الباطن وهو يتأسس على قاعدة علم الظاهر ولا يخرج عنه، ولا يتناقض معه، هو ما يسمى بعلم الحقيقة أي التعرف على الله بالله لحب الله تعالى، لأنه الحق تعالى والتعرف به تعالى حق وطريقه علم الحقيقة، وبالتالي أكد الله تعالى في سورة الكهف وجود علم الحقيقة والباطن، والفرق بين علم الظاهر والباطن حين سرد قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر عليه السلام..

وسوف نرى في هذه السورة الكريمة «الكهف» آيات كثيرة تفسر لنا معنى الرشد والمرشد والرشاد..

وهي كلها تعني علم الحقيقة الباطني المؤسس على الخبرة في جهاد النفس وتزكيتها للوصول بالله تعالى لحبّ الله تعالى ولا تخرج عن الكتاب والسنة فمثلاً قال تعالى:

أ) ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧].

(المهتد باسم الله (الهادي)، الولي المرشد باسم الله الوليّ الرشيد).

ب) ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].

أي: أريد أن أتعلم من علم الحقيقة والباطن.

وهنا .. سيدنا موسى عليه السلام وهو أحد الرسل أولي العزم وكذلك عمدة جميع أنبياء بني إسرائيل واليهود..

فماذا أراد أن يتعلم وهو حامل ورسول لعلم الشريعة والتوراة لليهود؟

وما المقصود بكلمة (رشدا):

إن سيدنا موسى عليه السلام وهو العالم والرسول بعلم الظاهر عقيدة وشريعة وأحكامًا.. أراد أن يتعلم جزء ما من علم الباطن والحقيقة من سيدنا الخضر عليه السلام..

وأساس هذا العلم وهدفه هو كيفية التعرف بالله لمحبته تعالى ومَنْ عرفه أحبه، ومَنْ أحبه عبده على يقين.

فالعبد المحب لا يكتفي بالطاعة للدين والقيام بآراء الشريعة، ولكن غايته هو حب الله تعالى من حب الدين والشريعة لأن الدين كفروض وأحكام وشريعة وتكاليف تنتهي بموت الإنسان، أو بانتهاء وفناء الدنيا.. ولكن التعلق بالله تعالى والتعرف به تعالى أي حبه تعالى فهو مستمر دنيا وآخره وبرزخ فلا نهاية له أبدًا.

فرشدًا هنا: تعني أن هناك أحكام باطنة قام بها سيدنا الخضر عليه السلام في ظاهره تناقض مع ظاهر الشريعة لكن في باطنها وحقيقتها فهي من علوم الحقيقة الصادر من الحق تبارك وتعالى وهي باطن الشريعة فهي حق من الحق تعالى غيبيّة لا تناقض في الحقيقة بينها وبين ظاهر الشريعة فكلاهما صادر من الله تعالى.

ج) وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف: ٢٤].

الرَشَدْ: هو ما فوق الهداية والطاعة وهو نور الحب النابع من الهداية الثانية هداية نور التوفيق.

وأيضًا الرَشَدْ هو مقام المكاشفات لعالم العزة والملكوت بقصد الحب

والقرب في الله من الله إلى الله تعالى وأيضًا عدم الغفلة عن الله تعالى في أفعاله وأسماءه وصفاته والتفكر في بديع مصنوعاته وعظيم قدرته في خلقه ومخلوقاته.

د) ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

فقد فطن أهل الكهف أن الطاعة جائزتها الجنة.. وهم يريدون فوق الهداية والطاعة نور الحب في الله تعالى.. أي العلم النافع والعمل الصالح الذي لا يوصلنا إلى الجنة فقط بل إلى حبك لله ومحبتك القدسية له تعالى وهكذا..

فالرَشَدْ ضروري للوليّ حتى يكون خبيرًا مرشدًا.. وهو ما يمكن أن يُعَرّف بالخبرة في السلوك بنفس وقلب العبد المحبّ؛ لكي يفوز بحب الله بالله تعالى ولكي تنقل بفضل الله تعالى من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة إلى نفس راضية مرضيّة والقلب السليم المنيب كل ذلك بالله تعالى.

فالولي المرشد هو الولي المربي الخبير العارف بالله تعالى والمؤهل بالتربية المحبين في هذا الطريق.

والرشد والرشاد والرشد هو الفهم والمعرفة والخبرة والحكمة ﴿ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ .

(٢) كيف يكون القرآن وليًا مرشدًا:

كما اتفقنا سابقًا أن الحديث عن كتاب الله لا يسعه كلام علماء العالمين ولا يحيط به فهم أولياء الله الصالحين لأنه ليس كمثله شيء..

لذلك ألزمنا أنفسنا بالموجز الإجمالي لهذا الموضوع بتوفيق الله وإذنه تعالى ولنبدأ إن شاء الله في أربعة أمور:

أولاً: أن حب الله تعالى وحبيبه ﷺ فرض الفروض بل هو روح الدين وحقيقته:

وسنذكر هنا ثلاث آيات نعرفها جيدًا.. وهي تغني عن أي شرح: قال تعالى:

١- ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] أي.. باب ومفتاح محبة الله للعبد هو محبة واتباع الحبيب ﷺ وورثته من الأولياء المرشدين من بعده ﷺ .. ولا باب في محبه الله إلا باب محبة واتباع الحبيب وهي لله ولا يقصد هنا مطلقا بكلمة المرشد، المرشد لبعض الجماعات الدينيّة السياسيّة أو المرشد في الشئون السياحيّة، ولكن المرشد هنا في موضوعنا هذا هو الوليّ المرشد المؤهل لتربيّة الأحباب على طريق السلوك لحب الله تعالى وحبيبه ﷺ بتزكية النفس وطهارة القلب والرياضة الروحية والذكر على الكتاب والسنة لا مكان فيه لدنيا أو سياسة أو مصالح ذاتية أو دنيوية مطلقًا.

٢- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

والفاسقون هنا هم مَنْ لم يجعل حب الله ورسوله فوق وأشد وأكبر من كل حب آخر لهم.. بل إن أي حب آخر يجب أن يكون في رضا وحبّ ما زكاه الله ورسوله ﷺ فمن لم يفعل ذلك فمثل هؤلاء هم الفاسقون أي المنافقون.. وإن صلّوا وصاموا، وحجّوا.. وكانوا اسمهم مسلمين.

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وهنا لم يقل الله تعالى أن نقيض المرتدين.. أنه تعالى سوف يأتي بقوم مسلمين مؤمنين، بل قال تعالى بقوم محبين يحبهم الله تعالى.. أي إن هذا هو الشرط.

وكأن الله تعالى جعل الردة عن الدين.. وهو الرجوع من التوحيد إلى الكفر والشرك.. تعدل عدم الحبّ.. فالدين أصله حبّ، والحبّ هو روح وأصله هذا الدين.

ثانيًا: المعراج الذي يحمل أنواع المحبة لتجلي أنواع الذات لقلب العبد المحب لا يكفي أن يكون معراج نوراني فقط بل لابد أن يكون معراج نوراني إلهي ربّاني:

فالحب نور.. ولكن حب الله تعالى هو تجليات أنوار الذات العلية

القدسية على قلب العبد المحب، فالمعراجَ الذي ينقل هذا النور الإلهي الرباني لقلب العبد، لابد أن يكون معراج نوراني إلهي ربّاني..

ولا يتوفر هذا إلا في اثنين معًا أو منفردين.

أولاً: الحبيب ﷺ، وورثته من الأولياء المرشدين العارفين بالله تعالى .

ثانيًا: كتاب الله تعالى ...

أو كلاهما معًا لأنهما نور من نور الله تعالى.

قال تعالى في وصف حبيبه ﷺ : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

فهنا أكد الله تعالى أن الحبيب نورُ من نور الله تعالى وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

وهنا أكد الله تعالى أن الكتاب.. السبع المثاني والقرآن نور من الله تعالى. بل أكثر من ذلك.. فإن الحبيب ﷺ والقرآن ليسا وجهين لعملة واحدة هو النور الإلهي الرباني الموصل للحب الإلهي.. بل هما نور واحد لوجه واحد هو معراج واحد.. لأنهما هما معًا نور إلهي رباني مصدره واحد.

فقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف : ١] فصفة عدم العوج تعود على مَنْ؟ الكتاب أم الحبيب؟ ﷺ .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

فصفة النذير هنا تعود على مَنْ؟ .

الكتاب أم الحبيب ﷺ .

وقد اتفق علماء أهل الحقيقة أنه تعالى.. مع أنه ذكر النورين بشكل ثنائي (الحبيب والكتاب) و (الحبيب والفرقان).. إلا أنه أعطاهما معًا صفة واحدة بشكل مفرد تعود على مفرد وليس مثنى .. (وهو لم يجعل له عوجًا وأنها للعالمين نذيرًا).

فالنوران.. نور الحبيب ﷺ وورثته، ونور الكتاب هما نور واحد إلهي رباني، وهما معراج واحد لمن أراد أن يسلك طريق محبة الله تعالى بهما معًا أو بأحدهما.

ثالثًا: السلوك في طريق الله أساسه وطريقه هو فقط جهاد النفس.. أي تزكيتها من سوء شهواتها وتطهير القلب من العلائق والخلائق والعوائق.

وهذا نجده أساس التربية لكل من الوليّ المرشد وكذلك القرآن الكريم سواء بسواء.

بل أن الوليّ المرشد أخذه واستنبطه من القرآن الكريم في كيفية الترقي من الإسلام للإيمان للتقوى واليقين والإحسان.

نعلم جيدًا أن طريق اليقين والإحسان بوليّ مرشد هو الدخولّ تطبيقًا في الذكر، ومحاسبة النفس والجهاد في مقامات اليقين والإيمان والإحسان، حتى يحظى أن يَعْبُدَ الله تعالى كأنه يراه ويصل العبد المحب بالله في الله تعالى في حبه تعالى كذلك وتمام بتمام لمن يتخذ القرآن الكريم له شيخًا.. سيجد على سبيل المثال لا الحصر:

- أن القرآن فَرَضَ جهاد وتزكية النفس علينا فرضًا وليس نافلة.

- بل أكثر من هذا فقد جعل الكتاب. إيثار الدنيا على الآخرة، واتباع المسلم لهواه.. هما دابته إلى جهنم، ولنعوذ بالله تعالى منها.

- وأنه تعالى بوضوح وتأكيد تام، ووعد ووعيد، أكد في الكتاب أن جهاد النفس هو الطريق الوحيد للوصول لحب الله والوصول إلى مقام اليقين والإحسان، أي إلى المعيّة القدسية الربانية الشريفة.

- بل أكثر من هذا، فقد ذكر الكتاب في بعض الآيات توضيحًا لمقامات اليقين والتقوى والإيمان والإحسان.. فمثلاً.

١- قال تعالى في فرضية جهاد النفس وتزكيتها:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

٢- أجمع علماء الحقيقة أن الآيتان الجامعتان لكل معاني الجهاد إجمالاً فيما قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]. فكأنه تعالى أجمل وأوجز أربع نقاط تؤدي إلى النجاة، والحب، والجنة وهي:

أ) عدم الأنانية والظلم والتجبر وهوى النفس.

ب) عدم إيثار الدنيا على الآخرة.

ج) تقوى الله واليقين بالخشية منه تعالى ومحبته.

د) جهاد يصل بأن هواك تبعًا لما جاء به الحبيب ﷺ، وليس أن يصبح هواك إلهك.

٣- وعد أهل جهاد النفس بالعون منه تعالى لتوصيلهم إلى محبته تعالى والفوز باليقين والإحسان.. فقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٤- أوضح الله تعالى الترقي على مقامات الإيمان واليقين صعودًا- فقال تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة: ٩٣].

فالخمس مقامات في مقامات اليقين والإحسان ذكرها القرآن إجمالاً في ثلاث مقامات... وصدق الله العظيم

رابعًا: وأخيرًا وليس آخرًا إن شاء الله: ذكر القرآن الكريم جوهر علم الحقيقة كما ذكر في أدبيات الطريق في الدعوة لحب الله تعالى كما يذكر الوليّ المرشد تمام بتمام:

بل أن الحقيقة كل وليّ مرشد أخذ من القرآن الكريم ومرجعيته دائما هي كتاب الله والسنة الصحيحة الشريفة وإلاّ كان دجّالاً كاذبًا مستدرجا من طريق النفس والشيطان والهوى..

أولاً: جوهر الحقيقة:

نجده واضحًا في القرآن الكريم في قصة خلق آدم عليه السلام والنفخة الربانية التي بوجودها أمر الله الملائكة وإبليس عليه اللعنة. بالسجود لآدم. إشارة الخلافة لآدم المستقبلية لربّ العزة في الأرض، بالإضافة إلى الحوارات الخاصة بين الملائكة وآدم في علم الأسماء والله علمّها كلها لآدم دون الملائكة وكذلك الميثاق الخاص [ألست بربكم في عالم الذر] وهو ميثاق تجلي الربوبية على الأرواح في عالم الذرّ إلى آخره من آيات وعلوم حقيقة كثيرة أساسها ووجودها في القرآن الكريم فقط.. وهي نفسها التي يربي بها الوليّ المرشد المريدين المحبين.. لأن علم الحقيقة كله داخل القرآن ليس خارجه وكيف أن إبليس لم يستطع أن يغرر بآدم عليه السلام إلا عن طريق الخلد والملك وهاتان الصفتان هما أصل بعض

ظل صفات الله تعالى التي تحملها النفخة في الإنسان.

وهنا يجب أن نوضح أمرًا هامًّا قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالعبادة جاءت للثقلين- أما الأمانة فجاءت للإنسان فقط.

(س)- فما هي هذه الأمانة؟؟ هل هي عبادة الله وتوحيده وطاعته وقدرة الاختيار وإرادة الاختيار بين الكفر أو الإيمان والتكليف؟

(ج) بالطبع لا..

لأن لو كانت الأمانة هي العبادة أو إرادة الاختيار فقد جاءت للثقلين معا كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(س) إذًا ما هي الأمانة التي لم يرض أحد أن يحملها إلا الإنسان.. ورغب حبّا في حملها ؟

(ج) الإجابة هي خلافة رب العزة للإنسان على وفي الأرض..

وهي لا تأتي إلا بتأهيله تعالى للإنسان.. وهذا التأهيل في الأساس كان بناء على رغبة أرواح الإنسان في عالم الذر دون باقي المخلوقات.. ورَجَتْ ربها في ذلك.. فكرمها بما لم يكرم به كثيرًا من مخلوقاته..

وهذا التكريم تمثل في النفخة الربانية التي تحمل ظلّ بعض صفات رب العزة وليست حقيقتها وعلى رأسها الخلد والملك وكذلك تعلمه للأسماء كلها من الله تعالى أي العلم الذي سيصل بالإنسان أنه يظن أنه قادر على الكون ولذلك فقد جاءت هذه الآية الكريمة الخاصة بالأمانة للإنسان فقط.. ولم يقل الثقلين.

(س) يبقى سؤال: وهو ما يجب أن نكون عليه من أمانة والصدق والعمل في حمل هذه الأمانة؟

(ج) ببساطة واختصار:

أن تَرُدّ صفات النفخة لصاحبها ومالكها وهو رب العزّة تعالى ومنها بالقطع (الخلد والملك) وكل صفات الكمال والجلال والجمال الخاصة به تعالى والمنفرد بها لا شريك له تعالى مثل العظمة والكبرياء والبقاء والقدرة والإرادة والعلم والعزة .. الخ.

وأن تعيش وتتذكر صفاتك فقط التي منها: الفناء، والضعف، والفقر، والاحتياج، والجهل والظلم.. الخ..

وبهذه الصفات الإنسانية الخاصة بك.. تطلب الدعم والعون والأمانة من ظل صفات ربك فيك.. أي في سرّك، أي في روحك، أي في النعمة الربانية التي في سرك ومثال ذلك أن ترجو ربك وتسأله مثلا بمثل هذا الدعاء:

اللهم إني أسألك بعزك وذلّي، وغناك وفقري، وبقوتك وضعفي، وبقدرتك وعجزي..

وهكذا تجد الكريم تعالى يعزّك بعزّه في ذلك ويغنيك في فقرك بغناه، ويقويك في ضعفك بقوته، ويقدرك في عجزك بقدرته.. وهكذا.

فإن نجحت بتوفيقه وفضله تعالى فقد فزت وفلحت وإلا تكون فريسة للشيطان، وعاقبتك النيران.

لأنك ستكون ممن ظلم نفسه وآثر الدنيا على الآخرة ولم يتق ربه تعالى وجعل هواه إلهه.

وهنا يتضح أن القرآن الكريم هو الأصل في علم الحقيقة، ولا حقيقة مطلقًا توجد خارج القرآن.. ومَنْ ادّعى ذلك فهو دجّال شيطان، فالقرآن الكريم يحمل صفات المتكلم سبحانه وتعالى فهو الأول والآخر والظاهر والباطن.

وأن القرآن الكريم هو الأصل في توضيح الطريق للتزكية والحب والجنّة، وإنه مصدر الحقيقة كلها والشريعة كلها مع السنة الشريفة الصحيحة.. وأي خروج عنهما فهو الضلال بعينه.

وأن القرآن الكريم بالإضافة على ما فيه من دين.. أوامر ونواهي وأحكام فهو وليّ مرشد لمن لم يجد وليًّا مرشدًا، فوق كونه أساس الدين ومصدره.. والعمل به والتعبد به فرض واجب.

هـــام:

أن الحقيقة هي روح الدين وجماله وهي دائمًا لا تخرج عن الشريعة، بل مؤسسة عليها ولا تناقض معها.. والشريعة هي عقيدة ومعاملات وفروض وأحكام.. وهي ظاهر الدين وجسمه وهيكله وقاعدته والدين كالأحكام والتكاليف ينتهي بموت الإنسان أو بانتهاء وفناء الدنيا..

أما ما يبقى مع الإنسان العبد المحب هو الحب لربه تعالى وتوحيده وخشيته ومدته وهو أمر خالد أبدًا في دنياه وبرزخه وفي حياته وبعد موته وفي آخرته، لأن مَنْ أحب فقد أحب الحي الدائم الباقي الوارث الذي لا يموت.. وهو معك أينما كنت.

فالدين كأحكام مكانه ووقته الدنيا فقط.. أي عمر الإنسان في الدنيا وهو الزرع الذي حصاده يكون جنة أو نار الآخرة.

أما حب الله تعالى فلا أول ولا آخر له.. سبحانه أول بلا أول، وآخر بلا آخر.. فمن أحب الله تعالى فوق أداء الأحكام وتكاليف الدين ومعه، وقبله وبعده.. يصبح هذا الحب دائم، باقي خالد، لأنه الحبيب والغاية والقصد والنهاية هو حب الله تعالى الحيّ الباقي، الأول، الآخر، الأزليّ الأبدي خالق كل شيء وهو العليم بكل شيء، وبكل شيء رقيب ومحيط وشهيد سبحانه فيكون معك وتتشرف بمحبته القدسيّة في الدنيا والبرزخ والآخرة...

فالقرآن مليء بهذا- وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- بالنسبة لأصل الدعوة لله تعالى:

أن يعرف تمامًا الداعي لله من هو المتلقي منه وعنه وصفته ووصفه دينا، فمثلاً أول سورة البقرة: حدد الله تعالى ثلاث فئات هم [المتقون بدرجاتهم - والكافرون والمشركون ومرضى القلوب من أهل النفاق والرياء والتعلق بالخلق خشية منهم وحبا فيهم].

كما حدد الله تعالى في ندائه [يا بني آدم- يا أيها الناس- يا أيها الذين آمنوا يا أهل الكتاب- يا عبادي.. الخ].

٢- أما بالنسبة للمريد المحب:

أ) أن الدين حياة، والحياة طعام وملبس ومأكل وعبادة وحياة أسرية وعمل.. الخ.. لذلك علمنا الله تعالى بأن جعل آيات المواريث بجوار آيات التوحيد بجوار آيات الوعد والوعيد، وآيات العبادات بجوار آيات المعاملات، وآيات الإلوهية بجوار القصص .. الخ.

فمثلاً يا ابن آدم - القواعد العامة الأساسية لتوحيد الله تعالى وثواب وجزاء المعترف بها والرافض لها وحكم وجوده في الدنيا وما بعدها - يا أيها الناس دعوة إلى الدين - يا أيها الذين آمنوا للمسلمين بدرجاتهم ومراتبهم الإيمانية المختلفة، ويا أهل الكتاب لأهل الكتب والأديان والملل

السابقة قبل الإسلام والقرآن، يا عبادي أهله وخاصته تعالى من عباده وأحبابه.

ب) أن لا يركز على شيء واحد في دعوته في طريق حبه لله تعالى لأن النفس الإنسانية ملولة حيث ذكر الحديث الشريف [بأن الله تعالى لا يملّ حتى تملّوا].

لذلك جاء تعالى بالقصص الحسن الجميل، ففيه تسرية ولكنه مليء بالوصايا، والعظات والعبر، والحقيقة والشريعة والخلق الحسن ومكارم الأخلاق.

ج) أن لا يركز الداعي أو المريد على الخوف فيقنط من رحمة الله، أو يركز على الرجاء فيستهزئ بالله عز وجل، بل يجعلهما جناحا الترقي معا دائمًا أبدا لذلك جمع الله تعالى النجاة في أمرين معًا هما:

- عدم القنوط من رحمة الله تعالى.

- مع عدم الأمان من مكر الله عز وجل، في قلبك معًا لا ينفصلا.

ومما يساعده في ذلك أن لا يركز على الترهيب بنسبة كبيرة، أو في الترغيب بشكل مبالغ فيه فما ذكر الله تعالى آية من وعيد أو عذاب جهنم إلا وقبلها وبعدها آية وعد وهي بشري بالنعيم وجزاء الجنّة وهكذا، [وما ذكر اسم له تعالى] من أسماء الجلال إلا ومعه أو بعده اسم من أسماء الجمال له تعالى (الواحد القهار العزيز الغفار).

د) مع آيات العقيدة، والشريعة والأحكام والفروض والأخلاق والحياة يتضمن القرآن الكريم آيات خاصة للتحصين من العين، والسحر، والشر.. الخ.

كما يتضمن آيات الشفاء وهي أساسًا للروح والنفس، ولا تلغي مطلقًا التطبب في العلاج العضوي للأبدان والأجساد.

والتطبب سنة شريفه مؤكدة فلا يوجد [ما يسمى العلاج بالقرآن]، فالقرآن الكريم كما ورد فيه من آيات هو شفاء وليس علاج لأن العلاج قد يشفي أو لا، أمَّا القرآن فهو شفاء للروح والنفس.

وفي الختام من هذا الموضوع الثاني نحمد الله ونشكره...

إن كنا قد أصبنا.. فبفضله منه تعالى ونسأله العفو والصفح، وإن كنا قد أخطأنا فمن أنفسنا.

وهكذا فمن لم يسعده التوفيق في الوليّ المرشد.. فالقرآن قبل هذا ومعه وبعده وليّ مرشد في طريق حبّ الله تعالى ورسوله ﷺ في كل وقت ولكل مسلم.. وبالأخص في هذا الوقت الذي ندر فيه وجود الولي المرشد من أولياء الله تعالى.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.. والحمد لله رب العالمين.

ثالثًا: الموضوع الثالث في هذا الفصل الثاني هو

كيفية الفائدة من أسماء الله العظمى والحسنى القرآنية

سبحانه؛ فطر كل عقل سوي على الاعتراف بوجوده الظاهر الذي لا ينكره إلا كل ضرير جاحد، وذلك من خلال التفكر والنظر والتعقل في الكون ومخلوقاته، فنجد أفعاله تعالى وآثاره الدالة على حتمية وجود إله خالق قادر قاهر..

والحمد لله.. الذي بواسع رحمته لم يرض لنا الاعتراف بوجوده فقط بالعقل والمعقول ولكنه مَنَّ علينا من خلال كتبه ورسله بالمنقول بالتعرف عن نفسه تعالى لنا وعلينا لأن ذاته محض غيب الغيب تعالى..

فعرّفنا على ما شاء من صفاته وأسمائه وأفعاله الدّالة على ذاته تعالى فهو تعالى الظاهر الباطن السّتير السّاتر.

والحمد لله.. الذي بعد الاعتراف بوجوده بالعقل والمعقول عرفناه تعالى من طريق الكتاب والمنقول.. ما هو اسمه وصفاته وأوامره والمطلوب منا والعائد علينا مع الإجابة على كل سؤال في داخلنا فهو دائمًا الرب الرحيم والكريم الجابر.

أولاً: جاء في الحديث الشريف:

عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

«من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضائك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي»

[أو كما قال ﷺ - رواه الطبراني].

أ) أن الله تعالى كما أنه ليس كمثله شيء وأنه تعالى أحدٌ صمد واحد لا شريك له.. كذلك فلا نهاية لصفاته وأسمائه وأفعاله لأنه تعالى مطلق الكمال والجلال والجمال والتنزيه.

ب) وبالتالي فنحن هنا بعد العمل بالقرآن الكريم نحرض قلوب وعقول المحبين على التدبّر في الأسماء مع التدبر في سياق كل آية وردت بها أسماء معينه في القرآن الكريم.. لكي نتعرف على فائدة اختيار الأسماء المناسبة لكل دعاء وذكر وابتهال ونفيد أنفسنا ولو بالقليل من ذلك لأن الله تعالى وهو ذو الحكمة البالغة والعلم المنزّه.. لم يضع هذه الأسماء ختاما لبعض الآيات عفويًا. حاشاه سبحانه ولكن لكي نستفيد منها إذا تدبرنا لماذا هذه الأسماء بالذات وضعت مع آيات معينة بالذات.

ج) وسنلاحظ أن أغلب أسماء الله تعالى القرآنية (ثنائية) والقليل (فردي) أو (أكثر من اثنين).

ثانيًا: وسنضرب هنا على سبيل المثال وليس الحصر

بعض الآيات المتضمنة لبعض الأسماء وما توفيقي إلا بالله تعالى.

أمثلة:

أولاً: اسم الله العزيز الحكيم:

وهو مرادف للتوحيد والعظمة والكبرياء والعزة والتقديس والتنزيه:

١- مثال في الذكر والتحصين خواتيم سورة (الحشر) وهي ثلاث آيات ورد فيها ٢٤ اسم له تعالى وتكرر اسم الباطن (هو) ٦ مرات - وختمت باسمه العظيم [العزيز الحكيم] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

٢- في التوحيد ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

٣- في التوحيد ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النمل: ٩].

٤- عدم الشرك بالله ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

٥- التنزيه المطلق ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١].

٦- له الحمد والكبرياء ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية ٣٦-٣٧].

ثانيًا: اسم الله العزيز العليم:

أتى كثيرا عند خلق السموات والأرض والكواكب والنجوم .. الخ.

ثالثًا: اسم الله الحي القيوم:

ويعتبره البعض من أسماء الله تعالى فيه الاسم الأعظم ولم يرد في القرآن الكريم إلا ثلاث مرات فقط، وكلها مرتبطة باسم الجلال الدّال على الذات والجامع لجميع الأسماء والصفات وهو «الله» بالإضافة.. أن القيومية تعني أن الخلق وُجِدَ وقائم، ويحيى ويموت، ويفنى ويُبْعَث بالله تعالى وليس بنفسه.

١- ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١-٢].

٢- ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ ﴾ [طه: ١١١].

٣- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٤ أول آية الكرسي].

رابعًا: اسم الله العليم الحكيم:

العليم الحكيم جاء مرادفًا لطلب العلم.. في حين اسم الله [العليم الخبير] جاء مرادفًا لطلب المكاشفة والبصيرة.

١- ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

٢- ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ١-٣].

خامسًا: اسم الله الوهاب والعليم القدير:

جاء مرادفًا لعطاء لا مثيل له وللإنجاب:

١- ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

٢- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

سادسًا: اسم الله العزيز الغفّار:

- وليس الغفّار بمفرده- و[العزيز الغفّار] ستار وحجاب من اسم الله [الواحد القهّار].

- وهو دعاء منجي برحمة الله من النار.

- ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص: ٦٥-٦٦].

- وهو من دعاء الركنين في الكعبة المشرفة مع «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» كما جاء في أول سورة إبراهيم.

وهكذا:

١) اسم الله [العزيز الحميد].. طالب الهداية إلى صراط الله المستقيم.

٢) اسم الله [الغني الحميد].. الحمد والشكر لله تعالى، كما إنه يغنيك عن عباده.

٣) اسم الله [الوليّ الحميد].. مرادف لطلب الولاية مع اسم [النور] .. كما أنه تجلّى لمن أنعم الله عليهم على الصراط المستقيم تأكيدًا لما قال تعالى في الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

٤) اسم الله [الغفور الحليم، العليم الحليم].. اسم مطلوب ذكره في الاستغفار من المعاصي وذنوب السرّ أي في طلب المغفرة بالستر الجميل ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

٥) اسم الله [العليّ الكبير].. هو مصاحب لاسم الله [الحق] وجاء ذلك في ثلاث آيات في القرآن الكريم.

٦) اسم الله [السميع العليم].. مرادف لرجاء وقبول الدعاء - مرادف ومطلوب لدفع وسواس الجن والشيطان ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٧) اسم الله [السلام - سلام قولاً من رب رحيم].. مرادف مطلوب للسكينة والسلام.

٨) اسم الله [خير حافظًا- وهو على كل شيء حفيظ].. مرادف لطلب الحفظ من الشيطان والجن والشر والسوء.

٩) اسم الله [اللطيف الخبير الحفيظ].. للنجاة من كل كرب.

١٠) اسم الله ﴿ لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف ١٠٠].. مرادف لطلب فك الأسر والجمع مع الأحباب.

١١) [اسم الله القدير الغفور الرحيم معا] لطلب المودة والصلح بعد

الخصومة والعداء ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الممتحنة: ٧].

وهناك العديد والعديد الذي لا ينتهي موجود في القرآن الكريم إذا رجعت إليه بنية الاستفادة من الأسماء المصاحبة لآياته الشريفة لكي تدعوه تعالى بجانب من دعائك من أسمائه تعالى.

فارجعوا إلى الكنز الذي لا ينفد عطاءه وهو القرآن الكريم، ثم بعد ذلك ارجعوا إلى كتاب ذكر الرحمن من أنوار القرآن، وإلى أسماء الله تعالى في أذكار اليقين..

وفقنا الله وإياكم إلى كل ما يقربنا تعالى به إليه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد والحمد لله رب العالمين.

- اللهم إني أسألك باسم بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم..

- وأسألك باسم بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم..

- وأسألك باسم بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه.. وخشعت له الأبصار.. ووجلت له القلوب.

- أسألك يا الله يا من ليس كمثله شيء ويا رب كل شيء، أن تُصَلّيَ وتُسَلّم وتبارك على سيدنا ومولانا محمد الذي بعثته رحمة لكل شيء.. عدد كل شيء.

- وأسألك باسمك الأعظم المكتوب من نور وجهك الأعلى المؤيد الدائم الباقي المخلد في قلب نبيك ورسولك سيدنا ومولانا محمد.

- وأسألك باسمك الأعظم الواحد بوحدة الأحد، المتعالي عن وحدة الكم والعدد، المقدس عن كل أحد.. وبحق ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ أن تصلي على سيدنا محمد سرّ حياة الوجود، والسبب الأعظم في كل موجود، صلاة تُثَبّت في قلبي نور حبك وتقواك واليقين بك لنخشاك وتكشف لي عن بعض سر القرآن، وتفهمني منه حق وحقيقة الآيات وتعينني على التدبر فيه والعمل به وتفتح لي بها نور الجنّات، ونور النعيم، ونور النظر إلى وجهك الكريم بالمنّة والاحتباء والإحسان والرحمات.

وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أفضل التسليمات.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، آمين.. آمين.. آمين.

جدول يشمل ما ذكر من الأسماء سابقًا كمثال فقط لعل وعسى كل منا حال تلاوته للقرآن أن يكسب المزيد

أسماء الله الحسنى	المرادف لها
العزيز الحكيم	التوحيد والعظمة والكبرياء والعزة والتقديس والتنزيه
الله الحي القيوم	اسم الجلالة الدال على الذات والجامع لجميع الأسماء والصفات وهو «الله» بالإضافة أن القيومية تعني أن الخلق وُجِدَ وقائم ويحيى ويموت ويفنى ويُبْعَث بالله تعالى وليس بنفسه.
العليم الحكيم	طلب العلم
العليم الخبير	المكاشفة والبصيرة
الوهاب والعليم القدير	عطاء لا مثيل له وللإنجاب
العزيز العليم	ذكر في خلق السموات والأرض
العزيز الغفار	ستار وحجاب من اسم الله (الواحد القهار) وهو دعاء منجي برحمة الله من النار
العزيز الحميد	طالب الهداية إلى صراط الله المستقيم
الغني الحميد	الحمد والشكر لله تعالى كما أنه يغنيك عن عباده
الولي الحميد	لطلب الولاية مع اسم (النور) كما أنه تجلى لمن أنعم الله عليهم على الصراط المستقيم

أسماء الله الحسني	المرادف لها
الغفور الحليم- العليم الحليم	مطلوب ذكره في الاستغفار لمعاصي وذنوب السر أي في طلب المغفرة بالستر الجميل
العلي الكبير	مصاحب لاسم الله (الحق)
السميع العليم	لرجاء وقبول الدعاء ومطلوب لدفع وسواس الجن والشيطان
السلام- وسلام قولا من رب رحيم	للسكينة والسلام
خير حافظا- وهو علي كل شيء حفيظ	للحفظ من الشيطان والجن والشر والسوء
اللطيف الخبير الحفيظ	للنجاة من كل كرب
لطيف لما يشاء أنه هو العليم الحكيم	فك الأسر والجمع مع الأحباب
القدير الغفور الرحيم	للمودة والصلح بعد الخصومة والعداء

الفصل الثالث

العلم والعلماء- والولاية والأولياء

والكمال والجمال أنهم يكمل بعضهم البعض

ولا رفض لأي منهما ..

ولا غنى لواحد عن الآخر

أعوذ بالله العظيم أنه السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، عليه وحده نتوكل وبه تعالى نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم وأشهد أن لا إله إلا الله، لا إله لنا غيره ولا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده وحبيبه ونبيه ورسوله ﷺ وآله وصحبه وسلم على من أحبه واتبعه ووالاه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩].

الحمد لله رب العالمين.. الذي عرّفنا دينه عن طريق كتبه تعالى ورسله والأنبياء.. الحمد لله.. الذي أكرمنا بأحبابه من عباده أطباء القلوب والنفوس وهم الأولياء.. الحمد لله.. الذي أخرج لنا من أمة الإسلام من يحملوا مشاعل أنوار العلوم للعقول وهم العلماء..

الحمد لله.. الذي مَنّ علينا بحضرة النبي سيدنا ومولانا محمد ﷺ، رحمته للعالمين والسبب في قبول كل شفاعة ورجاء ودعاء..

وبعد..

بإيجاز شديد واختصار غير مخل نذكر في عجالة موضوع هذا الفصل.. وهو:

الولاية والأولياء، والشيخ ومريديه من الأحباب..

أولاً: دين الإسلام

يستهدف أساسًا أمران لا ثالث لهما - وهما:

١ - حق الربوبية وواجبات العبوديّة:

في صدق العبادة والتوحيد لله تعالى وحده لا شريك له فلا إله غيره ولا رب لنا سواه.

مع واجب العبودية:

في صدق العبودية بكمال الطاعة والمحبة لله تعالى وتقواه، واتباع ومحبة رسوله ﷺ والعمل بكتاب الله العزيز..

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢- خلافة رب العالمين في الأرض والنفع والخير للناس:

بالعلم والعمل والأخذ بالأسباب وقد سخر الله تعالى ما في السموات الأرض جميعا منه، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

ومنهج ودستور العمل في ذلك كله هما كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ.

ولكن بالنسبة لخلافة الأرض لابد من استيعاب جميع العلوم الكونية في كل المجالات.

فالأخذ بالأسباب يعني الأخذ بالعلم والعلوم في كل وشتى مجالات العمل.

فبالعلم تحدد الأهداف وتوضع المناهج وتطبق الأساليب وتحدد الوسائل.. الخ.

ثانيًا: الله أهَّلَ بعض عباده في تبيان وتوضيح ذلك كله عن طريق

١) العلم والعلماء ...

في الدين (علوم شرعية).

في الحياة (علوم كونية).

٢) والولاية والأولياء...

لمن لم يكن هدفه النهائي هو الفوز بالجنة فقط برحمة الرحمن بل الجنة وسيلة عنده كمكان لرؤية وجه ربه تعالى ذو الجلال والإكرام - عن طريق تزكية النفس للوصول لمقام الإحسان..ومعية الرحمن..

ثالثًا: فمن حيث العلم

هناك علمان:

١) علم كسْبّي: بالتعليم والتعلم والاجتهاد والأخذ بالأسباب.

٢) علم وهْبيّ: بالتعليم والتعلم ولكن السائد فيهما التوفيق والاجتباء.

فالعلم الكسْبّي:

أ) علماء الدين والشريعة من تبيان الفقه والأحكام.

ب) وعلماء الحياة والطبيعة وتسخير الكون لصالح الإنسان.

أمّا العلم الوهْبّي هو:

في الأغلب الأعم:

أ) علماء الحقيقة بغية التعرف وحب الله تعالى والسلوك بالمحبين لحب الله تعالى بالله تعالى.

ب) علماء الاكتشاف والاختراع في العلوم الكونية مثل:

[أرشميدس، النسبية، والفيمتو والنانو وتكنولوجيا الفضاء والاتصالات...].

أولاً: علماء الدين والشريعة.

هم في الأساس علماء النص والكلمة والقياس، وهم أساس نور العقول في توضيح وتطبيق الدين في عقيدته وشريعته وأحكامه ويشمل هذا فئات مثلا هي:

١- علماء الأئمة المجتهدون.

٢- علماء فقهاء في الدين.

٣- علماء محققون.

١) علماء الأئمة المجتهدون : مثلاً:

في كتاب الله تعالى: في النص والتأويل والتفسير: [الأئمة: الطبراني - الزمخشري - ابن كثير].

في التبيان: [الأئمة: أبو طالب المكيّ- السيوطي- النووي].

في سّنة الحبيب ﷺ : [البخاري- مسلم- النسائي....وغيرهم].

في تطبيق الكتاب والسّنّة معًا: أئمة المذاهب الأربعة: [أبو حنيفة- مالك- الشافعي- ابن حنبل].

٢) علماء فقهاء الدين:

في ربط ما سبق وكيفية تطبيقه مع متغيرات الحياة والعصر والوقت والزمان، كذلك في التخصصات مثل علوم الإرث والمواريث - والزواج والطلاق، ومن مشاكل كل العصر والمتغيرات في إطار فهم الدين.

٣) علماء محققون:

في تبيان حقائق العلوم السابقة وتنقيتها من أي زيف أو باطل دخل عليها في غفلة من عصور سابقة.

ثانيًا: علماء الحقيقة والسلوك لله تعالى

هم في الأساس علماء معنى ومبنى، وحقائق وليس مجاز بتأييد رباني وعلم لدني على أساس الشريعة من الكتاب والسّنّة. هم:

١ - أولياء الله على العموم:

دون تكليفات ربانية محمدية.

أساسهم الدعاء المستجاب والدعوة بعد طاعة الله وتقواه لمحبته تعالى.

٢ - أولياء الله على الخصوص:

بتكليفات ربانية محمدية للأخذ بيد المريد في تزكية نفسه وتطهير قلبه برياضات ومجاهدات مختلفة على قاعدة الكتاب والسنة وما سميناه في الفصل السابق بالوليّ المرشد - أو تكليفات أخرى في علوم القرآن والسنة الشريفة أو غيرها من تكليفات أخرى .


أولياء على العموم
أولياء الله تعالى على الخصوص
وهم أولياء مرشدون
(١)
(٢)
أولياء في دعوة عامة في محبة الله تعالى
ورسوله ﷺ
الوليّ المرشد بالترقي يكون من العارفين بالله تعالى
العارفون هم أولياء العلوم اللدنية وهم قمم الولاية
الخاصة ويسموا بالأقطاب [مثل الخلفاء الراشدون
والعشرة المبشرين بالجنة وسادتنا عبد القادر الجيلاني
والرفاعي وأحمد البدوي وأبو الحسن الشاذلي
وإبراهيم الدسوقي وأحمد بن إدريس ومحمد
الخلوتي وبهاء الدين النقشبندي والجنيد وأبو مدين
والمحاسبي والسقطي وأبو حامد الغزالي ... إلخ
أولياء في تحريض قلوب الأحباب على محبة
الله ورسوله ﷺ عن طريق المجاهدة
والسلوك إلى الله تعالى
ولي مرشد
ولي مرشد نجباء ونقباء
وأقطاب
وليّ مرشد أوتاد
وأبدال ورجال الغيب
أهل كرامة ظاهرة
أهل محبة وكرامة باطنة
وظاهرة وهم أهل تربية
ومجاهدة وسلوك لله
مثل أهل التمكين والتصريف
مثل مَنْ جاء بعرش
بلقيس عليه السلام
مثل جميع رؤوس وأقطاب
الطرق لمحبة الله تعالى
مثل سيدنا الخضر ومثل سيدنا
ذي القرنين عليه السلام
ليس بالضرورة له
مريدين
﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ
مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ [الكهف: ٨٤]

ونركز على «الوليّ المرشد المكلَّف» المسئول عن التربية والسلوك والمجاهدة ويسمى (الشيخ) وكل شيخ له طريق وطريقة.

- وله قاعدة من المريدين:

١) المريدون الراغبون في البركة والدعاء المستجاب لأنهم أهل تقوى وصدق وإخلاص.

٢) المريدون المحبون وهم أهل الهمّة في النية للهجرة إلى الله تعالى.. ورسوله ﷺ وكذلك أهل العزم في المجاهدة والسلوك إلى الله تعالى.

[والمريدون كلّ تابع لنيته مع ربه تعالى]

المريدون الراغبون .. يُكَرِّموا.. [لا يشقى بهم جليسهم]

المريدون المحبون.. يُكَرّموا.. بالقبضة النبوية الشريفة وهي إما

- مباشرة مع حضرة النبي ﷺ

- غير مباشر مع شيخه بالإنابة عنه ﷺ

القبضة النبوية الشريفة:

هو عهد ووعد من المريد لله تعالى عن طريق حضرة النبي ﷺ، أن غايته هو حب الله تعالى بعد طاعته تعالى وتقواه على قاعدة الكتاب والسنة الشريفة الصحيحة ليس خارجها مطلقًا (أي التركيز على محبة الله تعالى بعد طاعته وتقواه).

- السلوك لهذه القبضة يأخذ أشكال مختلفة منها:

١) باليد: مثل حضرة النبي ﷺ أو الشيخ بالإنابة حضورًا أو منامًا (رؤيا صادقة) وهو عهد ووعد بالالتزام بالصدق والإخلاص في العقيدة والشريعة من معاملات وعبادات وعادات وأخلاق ومعاملة على قاعدة الكتاب والسنة وبالتأسي والاتباع ومحبة الحبيب ﷺ مستهدفا القصد والمطلوب النهائي وهو إلهي أنت حبي ومقصودي وعفوك ورضاك وحبك لي مطلوبي.

٢) الامتزاج القلبي والروحي: مع الشيخ في حب الله تعالى فيتأكد المريد أن نفسه الأمارة بالسوء ترتقي بالعمل والمجاهدة ويتأكد أنه ينتقل من مذموم المعاملة والأخلاق والصفات لمحمودها ويستشعر عملا محسوسا.. بحب الفروض والنوافل والقرآن الكريم كما يستشعر بأن نيته أوقظت من نومها وأصبحت كل نية وعمل وقول القصد به رضا الله تعالى ومحبته.

- مراتب المريدون المحبون:

والمريدون المحبون أصحاب القبضة النبوية الشريفة يترقوا في خمس مراتب تقريبا تختلف من طريقة لأخرى:

١) المسبح الذاكر. ٢) السالك المجاهد.

٣) المنيب السامع الشاهد. ٤) المحسن الموقن.

٥) الولي.

١ - المسبِّح الذاكر:

قال الله عز وجل:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

- التسبيح موقوف بأوقات معينة كما جاء في القرآن الكريم (بكرة وأصيلا) مثلا أو أوقات أخرى.

كذلك في ختام الصلاة المكتوبة.. كما جاء في السنة المطهرة الشريفة.

والتسبيح يكون باللسان ومعه القلب، وهو الأكمل وقد يبدأ باللسان إلى حين يحضر القلب.

أما الذكر يكون بالقلب أساسا ومعه اللسان في بعض الأحيان..

ويكون إما حمد وشكر على النعمة، أو استغفار من الذنب، أو تفكر في آيات الله تعالى، في أسمائه، وصفاته من عظمة وقدرة ورحمة وجمال.. وبديع صنعه، وجمال لطفه، وواسع رحمته وكرمه، وعظيم قدرته سبحانه.

فالذكر لابد أن يكون في هذه الاتجاهات تقريبا بحضور القلب المتعلق بصاحب الذكر أي المذكور وهو الله تعالى.

فإما أن يكون تأمل، وتخلق، وتعلق، وتفكر.

ومن أهم الوسائل والأسباب بعد تدبر القرآن القلبي هو طريق التخلق بأسماء الله تعالى الحسنى الجمالية والتعلق بأسماء الله الحسنى الجلالية ولما جاء في الدعاء النبوي الشريف (اللهم إنا نعوذ بك منك).

أي: نعوذ بأسماء جمالك من أسماء جلالك، فأسماء الجمال التخلق بها تغشى تجليات الاسم وأنواره على الذاكر ويصبح له نصيب في التخلق والعمل بهذا الاسم وبالتالي يكتسب قدر ما من نور العطاء الإلهي لهذا الاسم بالإضافة إلى أنوار السكينة والرحمة وواقع الرجاء في الله تعالى.

أما التعلق بأسماء الله الجلاليّة فتكسب الذاكر الخشية من ربه تعالى والخوف من مقامه تعالى وينتقل المريد بين الرجاء في واقع الرحمة والدعاء.

وبين الخشية والتقوى فيكثر من الاستغفار والتوبة والإنابة والتوكل والرجاء والخوف والصبر والشكر.

٢- السالك المجاهد:

قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

بعد الذكر يُفْتَح له الأبواب.. ويُكْرَم السالك بالقبضة النبوية الشريفة. (والتي أوضحناها سابقًا).

والمجاهدة تعني في الأساس هو فطم النفس ومخالفتها ومحاسبتها بأسلوب وطريقة تعتمد على الشيخ (الذي معه المريد) فالمجاهدة يُعبر عنها إجمالاً بالتخلية من المذموم للتحلّي بالمحمود بهدف الوصول للتجلّي في أنوار الرب المحبوب أي تخلية وتحلية وتجلية، وقد يقف السالك عند هذا الوضع- وهناك من يجتهد فينتقل إلى أعلى.

٣- المنيب الشاهد السامع:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

- فإذا صدق السالك يصبح من أهل السماع والمشاهدة لبعض الغيب في عالم الملك والملكوت ما شاء وقدر الله تعالى فالكل الشيخ والمريد خاضعين للكم والكيف والوقت الذي يريده الله تعالى.

٤- الموقن المحسن:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يكون مع الله في أنوار ذاته العليّة ويصبح دائمًا في مراقبة ربه لأنه أصبح في شرف المعية القدسية.

وكما قال عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، ذلك لأنهم ارتقوا من مقامات الإيمان إلى مقامات اليقين والإحسان، [أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك.. وقد يسموا بمقاميّ الفناء والبقاء..].

وهذا قمة الشرف والفضل والمنة من الله تعالى على عبده المحب أن يسمح له بشرف المعية القدسية والأنس الرباني وهو مقام اليقين والإحسان.

٥- ولي:

ولي عموم - ولي مرشد

الولي غير معصوم من الخطأ، ولكن محفوظ بالله تعالى من وسوسة الشيطان وأخطاء النقص البشري الإنساني وليس الشيطاني.

ويمكن أن يحدث اجتباء رباني طبقًا لإخلاصه وصدقه فتفنى متطلبات نفسه تماما حتى في الطاعات وتصبح متطلباته وإرادته مع الأخذ بالأسباب متروكة لربه تعالى تماما فلا يختار إلا ما اختار الله له.

وهذا يصبح عبدا ربانيا يرى بنور الله ويسمع بنور الله ويمشي بنور الله.

فكل سكون وحركة له بالله في الله إلى الله تعالى.

- سمات المريدين أصحاب القبضة:

١) الأدب مع الشيخ قلبيًا:

التعود على الأدب القلبي مع الشيخ في حد ذاته ليس هو الهدف ولكن تمرين وتأهل للوصول إلى الأدب الغيبي مع الله ورسوله.

فالشيخ ليس معصومًا ولكن يكون محفوظا بعصمة الله له فيجب الأدب القلبي معه وحسن الظن به وحسن الرجاء فيه بالله دون الأدب الشكلي الظاهري المعروف بل قلبي كاملا بهدف الوصول إلى الأدب في حضرة الله ورسوله ﷺ.

والأدب مع الله يتأسس على أنك فقير ومفتقر إليه دائما في كل ثانية في حياتك فهو الغني بذاته في ذاته عن جميع مخلوقاته وجميع خلقه ومخلوقاته فقيرة إليه في كل شيء.

٢) التواضع:

أن يكون من أهل التواضع وأن لا يرى لنفسه مقامًا أو حالاً.. بل يستشعر أن الكل خير منه حتى من منهم ليس عليه ظاهر الصلاح وهذا أهم سلاح يحميك من شر نفسك والكبر والغرور الهالك.

ودائمًا ينسب الفضل والخير لربه تعالى وهو تفضل من الله عليه وهو غير مستحقه وكذلك يخفي حاله مع ربه ويستر على عطايا ربه عليه الباطنة فخير المؤمن، المؤمن التقي، وخير التقي، هو التقي الخفيّ.

٣) القبول عند الناس:

أن يكون له قبول عند الناس..

ويكون هاشًا، باشًا، لينًا، سهلاً.

زاهدًا في ما هو في يد الناس لا يخشاهم بل يتأدب ويتواضع معهم.

والخلق فتنة وامتحان:

إما أن يكون عملك لهم وهو طريق النفاق والرياء.

وإما أن يكون عملك وقولك لله تعالى وهو صميم التقوى.

٤) الحب والرحمة:

ينضح حب ورحمة للجميع دون تمييز وبالأخص للعاصي قبل الطائع.

فالعاصي مريض أما الطائع فهو صحيح.

ويهتم بالفقراء والمساكين أكثر من الأغنياء والمتيسرين.

ويتأكد أنه قدوة للجالسين في الإيثار والأدب والحلم والقول والفعل..

فهو صورة من صور جمال الدين وجمال أسعد الخلق ﷺ وآله أجمعين.

٥) حب واتباع الحبيب ﷺ :

أن يكون محب ومتبع للحبيب ﷺ وفي معية الله دائمًا بالحب والتسليم والرضا بالقسمة والمراقبة والتقوى والخشية.

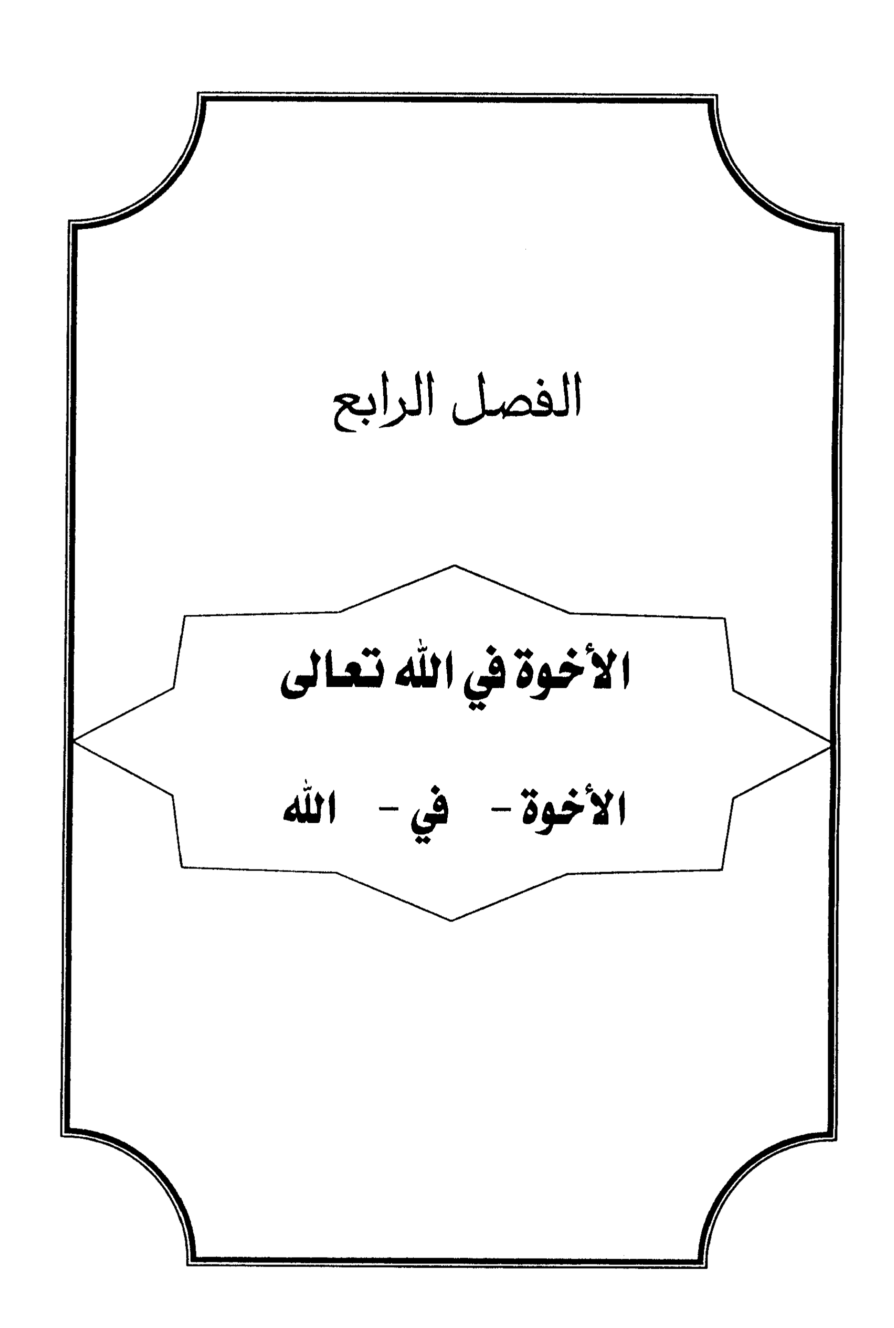
اللهم الفضل بك ومنك وإليك..

لا حول ولا قوة إلا بك..

أستغفرك وأتوب إليك

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على حضرة النبي الأمي أمين مدينة العلم ومداد العلماء وبحر العطاء اللدنِّي وإمام كل الأقطاب والأولياء وعلى أهله وآله وصحبه أجمعين..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



الفصل الرابع

الأخوة في الله تعالى

الأخوة - في - الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، عليه وحده نتوكل وبه تعالى نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله لنا غيره ولا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده وحبيبه، ونبيه ورسوله صلى الله عليه وعلى وآله وصحبه وكل من أحبه وأتبعه ووالاه.

قال الله تعالى:

(١) ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الحجر ٤٥-٤٩].

وقال الله عز وجل:

(٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصّلت: ٣٠-٣٣].

وقال الله سبحانه وتعالى:

(٣) ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزخرف ٦٧-٧٣].

وصدق الله العظيم

فسبحانه، مَنْ أَنْذر مَنْ كانت صحبتهم وأخوتهم وأهل محبتهم الهدف منها وأساسها الدنيا والمصالح والهوى.

لذلك ذكر الله تعالى كما جاء في الآية السابعة: «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين».

الحمد لله، الذي أجزل جميل العطايا لمن كانت صحبتهم وأخوتهم في حب كمال جماله تعالى وحب حبيبه ﷺ فوعدهم وبشرهم كما ذكر في الآيات السابقة.

أولاً: ففي الدنيا تبشرهم الملائكة وتقول لهم:

﴿ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾، فطوبى لهم.. فهم في الدنيا من السعداء الآمنين المبشرين بالجنة والسعادة.

ثانيًا: في برزخهم:

يرزقهم حبيبهم ومولاهم بحسن الخاتمة، والتأييد بالقول الثابت في سؤال القبر وبالأخص في الشهادة والتوحيد..

قال عز وجل: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ .

فطوبى لهم في برزخهم من السعداء الناجين.. سواء كانوا من المقربين أو أهل اليمين.

ثالثًا: في آخرتهم:

بعفوه ورحمته يكونوا في جنّة الفردوس على سررٌ متقابلين، ومن الناظرين لوجهه الكريم..

فطوبى لهم.. فهم برضوانه من السعداء الفائزين بالنظر لوجهه تعالى الكريم ومعيته القدسيّة العليّة في الدنيا والبرزخ والجنة بمحض إحسانه ومنته وعفوه ورحمته.

ومـوضـوع هـذا الفصـل الرابع:

هو الأخوة في الله

إن من أيسر ومن خير وأفضل وأشرف الوسائل والأساليب - بعد حب الله تعالى ورضاه وتقواه وحب واتباع حبيبه ﷺ ومصطفاه - هو الأخوة على قاعدة حب الله ورسوله في إطار الكتاب والسنة.

لذلك سوف نقسم موضوع (الأخوة في الله) ونفصله تفصيل إجماليا إلى جزئين هما:

أولاً: معنى (الأخوة).

ثانيًا: معنى (في - الله تعالى).

في محاولة الوصول بتوفيق الله تعالى إلى حق وصحيح المعنى والمبنى للأخوة في الله تعالى وأهميته.

أولاً: الأخوة

نبدأ في موضوع الأخوة تعريفًا وتشريعًا وتحقيقًا بحقيقة وهي:

كلنا يلاحظ إننا الآن نعيش في زمن تزييف للمعاني حتى فقدت المسميات معناها.. فمثلاً نقول: (هذا أخ وهذا حبيب وكم من البغض والحسد وعدم المحبة بينهما اللهم إلا النفاق وقضاء المصالح).

وقد تكون هناك أخوّة بالفعل.. مثلاً.

[في الإسلام- في العروبة- في الوطن- في صلة الرحم- بين المعارف والزمالة- في المصالح- في الهوى ....]، فالأخوة هنا مجرد تسميّة لا تحمل معنى أو مضمون أو حقيقة الأخوة مطلقا ولكنها ارتباط مصالح وامتزاج أهواء.

ولذلك فمعنى الأخوة هنا مزيف وليس على سبيل الحقيقة.. فالأخوة في الله شيء آخر تمامًا.. فعلى سبيل المثال: فالأخوّة في الله تكون وتبدأ بين الإخوة وهم في مرتبة مقام الإيمان.. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]... ولم يقل إنما المسلمون أخوة.

وقال حضرة النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه» [البخاري ومسلم].

بمعنى أن الأخوّة حب وإيثار تحقيقًا للإيمان.. ونابع من الإيمان، وحب الله تعالى حتى أخوّة الرحم شرطها هو الإيمان والعمل الصالح.

قال الله تعالى لنبيه نوح.. على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ [هود: ٤٤].

فبالرغم أن النسب وأخوة الرحم هو ارتباط قوة في الحياة الدنيا.. إلا أن الله عز وجل قال في كتابه العزيز إشارة إلى يوم البعث: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس ٣٤-٣٦].

لأنه تحت التراب ويوم الحساب تنقطع الأنساب ويبقى فقط نسب [لا إله إلا الله محمد رسول الله] فتبقى فقط الزوجة الصاحبة والابن والأب والأخوة الذين بجمع بينهم نسب [لا إله إلا الله محمد رسول الله] والعمل الصالح.

بنسبهم وصلة رحمهم الصحيحة باقية مرفوعة شافعة برحمة الله تعالى لهم بالإضافة إلى قبول شفاعتهم بعضهم لبعض - أما الأب والزوج والأم والزوجة والأخوة والأبناء الذي لم يجمعهم إلا صلات الدنيا وحتمة صلات الأرحام بعيدا عن الإيمان وحب الله ورسوله فمثل هؤلاء هم من وصفتهم الآيات أعلاه.

فالله جعل نسبا واحدًا باقيا ببقاء الله تعالى لأهل الإيمان ألا هو نسب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي الإيمان والتطبيق لهذا النسب أما جميع الأنساب الدنيوية والأسماء الفانية لأن أصحابها أهل فناء فكلها تسقط وتزول بموت الإنسان أو فناء الدنيا.

(١)- بعض فضل وشرف وجوائز الأخوة في حب الله تعالى:

١ - أن الله تعالى أوجب على نفسه محبته لمن تحابوا في كمال جماله من أخوة في الإيمان، وهذا فضل ما بعده فضل كما جاء في الحديث القدسي: قال ﷺ عن ربه عز وجلّ: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ وللمتجالسين فيّ وللمتزاورين فيّ» [وللحديث بقية أو كما قال ﷺ].

٢- أن الأخ في الله يحشر مع مَنْ أحب من إخوته في الله تعالى، وإن كان هو أقل مقامًا ورتبة ودرجة عنهم.

فالمحب يحشر مع مَنْ أحب بإذن الله متى كان حبه في الله صادقا في حب حضرة النبي ﷺ أو شيوخه من أولياء الله تعالى أو إخوته في حب الله تعالى مصداقا لقول الصادق الأمين ﷺ:«يحشر المرء مع من أحب» أو كما قال ﷺ.

بمعنى: يحشر الأخ المحب في الله مع من أحبه في الله تعالى حبا صادقا مخلصا إيمانيا ليس فيه مكان لدنيا يصيبها أو مصلحة يقضيها أو بغرض المال والجاه والسلطان..

٣- الأخ في الله عند الميزان:

فالناجي يأخذ بيد أخيه عند الميزان ويقول الأخ في الله: وعزتك ما أحببته إلا في حب جمالك وجلالك وكمالك فيقول الله عز وجل: «إني أكرم منكما خذ بيد أخيك إلى الجنة» وذلك بالطبع بإذن وعفو ورحمة الله تعالى.

ولهذا فإن أول عمل بعد الهجرة لحضرة النبي ﷺ آخي بين المهاجرين والأنصار - وبين كل منهم بعضهم لبعض مرتين:

الأولى: في قباء قبل وصولهم إلى المدينة.

والثانية: في مسجده الشريف بالمدينة المنورة.

وذلك حتى يأخذهم من مرتبة الإسلام الغير ناجية إلى مرتبة الإيمان الناجية، إلى مرتبة المحبة والإحسان واليقين «أن تعبد الله كأنك تراه».

ومن بعض الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية الشريفة في فضل وثمرة الأخوة في حب الله تعالى:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ:

«إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم يوم لا ظل إلا ظلّي» [مسلم]

- عن معاذ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل:

«المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» [الترمذي].

- قال ﷺ:: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدّلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» [مسلم وأبو داود والترمذي]. (أو كما قال)

- وقال ﷺ: «إذا زار أخ في الله أخاه وقال أحبك في الله، فإن الله يرسل مَلَكًا يقول له بأن الله يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة» (أو كما قال) [مسلم].

- وقال ﷺ: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: (ولك مثله)» (أو كما قال) [مسلم].

- وعن أنس ﷺ أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فَمَرَّ رجلٌ به فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «أأعلمته؟» قال: لا، قال «أعلمه» فلحقه، فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني من أجله» [أبو داود].

- وقال ﷺ: «إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: المتحابون في الله والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله» [النسائي]. (أو كما قال ﷺ).

(٢)- فئات الأخوة في الله:

تتضمن الأخوة في الله ثلاث فئات: لكل فئة مسمى ومعنى ومبنى معين، وكلهم في دائرة الأخوة في الله مع اختلاف الدرجة والمقام لكل منهم، وهي:

١) الأخ الصديق في الله.

٢) الأخ الصاحب في الله.

٣) الأخ في الله.

(٣)- شروط التآخي في الله هو مرتبة الإيمان:

سواء في إطار الصداقة أو الصحابة أو الأخوة في الله.

١- الإيمان: أن يكونا الاثنين ارتقوا من مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان بشكل عام أي ارتقوا في الإيمان إلى مقام التقوى...

٢- ألا تكون علّة التآخي بسبب غرض أو دنيا أو نسب أو مصلحة.. ولكن حب الله تعالى وتقواه، وحب واتباع حبيبه ﷺ ومصطفاه فقط لا غير ذلك ولا سواه.

كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «من كانت هجرته لله ورسوله كانت هجرته لله ورسوله» [أو كما قال ﷺ].

(٤)- الأدب عندَ التآخي في الله تعالى:

١) القول:

أن تقول لأخيك بقلبك ولسانك وأنت ناظر في عينيه [أنني أحببتك في الله] - فيقول ويرد عليك: [أحبك الله الذي أحببتني من أجله، وجعلني الله أهلاً لذلك.

ولكن هناك استثناء: فإذا كان شيخك أو من تشعر أنه أعلى منك مقامًا فتقول في سرك والله أعلم به هذا القول بينك وبين ربك دون أن توجه لشيخك في المواجهة لأنه تعالى يُعْلِمه بذلك على اليقين.. ويجب أن تكون على طهارة ووضوء وفي اتجاه القبلة. تقول: «يا الله إني أحببت شيخي في حب جمالك وجلالك وكمالك».

لأن الهدف والقصد والغاية والنهاية هو حب الله تعالى مع صدق عبوديته تعالى أما أي شيء آخر فهي وسائل أو أشياء كوسيلة لتحقيق هذا الهدف، والوسيلة الكبرى والشفاعة العظمى لتحقيق حبّ وعبودية الواحد الأحد تعالى هو حب واتباع الحبيب والتأسي به خلقًا ومعاملة وعبادة وعبودية فروض ونوافل قرآن وسنة دنيا وآخرة عادة وعبادة.

٢) الإيثار:

أن تنوي في كل عمل صالح وخير وبرّ سواء كان عبادة أو عادة أن يتقبله الله تعالى منك، وأن يُكْتَب في صفحة أخيك في الله.

- كذلك ممكن أن تهب العمل الصالح وثوابه لشيخك أو من هو أعلى منك مقامًا - كذلك ممكن أن يكون بين الشيخ ومريديه.

- ونتأسى بالحبيب ﷺ عندما قال لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو ذاهب إلى الحج: (لا تَنْسَنَا يا أُخَيْ في دعائك).

- كذلك يمكن الدعاء بظهر الغيب في كل خير أو منفعة لمثل ذلك لأخيك في الله تعالى.

(٥)- درجات ومراتب الأخوة بين الصديق، والصاحب، والأخ في الله:

ونوضحها على ثلاث محاور: ١) الحب. ٢) التفضيل. ٣) الملازمة.

١ - الحب:

أ - الصديق:

أخ أحببته في الله تعالى على مرتبة الإيمان العامة، لصدق قوله، ونصحه، وخلقه وللامتزاج الفكري أو هواية - لبعض الوقت بشرط أن يكون ذلك في الحلال.

ب- الصاحب:

أخ أحببته في الله تعالى على مرتبة الإيمان العامة، ولكن بحب واتباع لحضرة النبي ﷺ والامتزاج هنا نفسي أي راحة نفسية، وتكون هنا المصاحبة أغلب الوقت بشرط أن ذلك في إطار تقوى الله تعالى.

ج- الأخ في الله تعالى:

أخ أحببته في الله تعالى وأنت في حال المجاهدة في مقامات الإيمان واليقين - جمع بينكم حب كمال جماله تعالى - الامتزاج روحي وقلبي- دون شرط الملازمة، لأن المصاحبة الروحية مستمرة بينكما بشرط أن تكونا على محبة الله تعالى.

٢- التفضيل:

أ - الصديق:

لا تفضله على نفسك بل تفضله فقط على غيره، وقد تراه في المغنم ولكن لا تراه في المغرم.

ب- الصاحب:

تحب له ما تحبه لنفسك ليس أكثر.. وقد تراه معك في المغنم وقد تراه في المغرم.

ج- الأخ في الله:

تؤثره على نفسك في كل خير وفضل، وهو خلفك في المغنم وتراه دائمًا في المغرم إما أمامك أو في كتفك.

٣- الملازمة:

أ - الصديق:

رفيق ناصح لك.. ملازم بعض الوقت حينما تجمعكما فكرة أو موضوع أو هوايه كلها في حب الله، والملازمة مؤقتة هنا.

ب- الصاحب:

هو الأنيس المريح لك في الحضور فقط والملازم معك أغلب الوقت بلا علّة إلاّ الخير والامتزاج والراحة النفسية في حب الله تعالى الملازمة شبه دائمة هنا.

ج- الأخ في الله:

فهو رفيق وأنيس وصاحب لك في الحضور أو البعد لأن القاسم المشترك بينكما لا يغيب، وهو الله تعالى، نوره تعالى يملأ قلبكما وروحكما فهو ليس ملازمًا لك مؤقتا أو دائما، ولكن في حضوره أو بعده روحك وقلبك متعلق بروحه وقلبه باطنيًا- كلاكما متعشق في أنوار حبه وجماله تعالى.

فهو وسيلة محبة في حبك لله تعالى.. وبالطبع يصل بكم هذا الحب معا للوصول لوسيلة المحبة الكبرى لله عز وجل ألا وهو الحبيب ﷺ الوسيلة الكبرى في حب الله تعالى.

مثال:

إذا غاب الصديق... استوحشت الصدق والنصيحة.

وإذا غاب الصاحب... استوحشت الراحة النفسية لك وشعرت بالوحدة والعزلة.

أما إذا غاب الأخ في الله.. فلا تأثر ولا تأثير، فصورته منطبعة على روحك وقلبك وهو كذلك، والاتصال الروحي بينكما دائم بالله في الله تعالى (لأن الذي جمع بينكما لا يغيب هو حاضر يعلم السر وأخفى) فكأنه توأمك الروحي في أجساد مختلفة حتى لو اختلف الجنس أو المقام أو الحال أو السن.

ولذلك فأخيك في الله عند الميزان إذا فاز بالجنة برحمة الله تعالى لا يذهب إليها بل يقف عند الميزان ينتظر أخيه ويستأذن الله بالمحبة فيه تعالى حتى يأذن الله بشفاعته تعالى في أخيه فيذهبا سويا برحمته تعالى إلى الجنة.

(٦)- سمات الأخوة في الله:

(١) عفة اللسان: عدم الكذب - عدم الغيبة - عدم النميمة، والبعد من اللغو والجدال المكروه.

(٢) سلامة القلب: عدم الكراهية والحسد والحقد - وعدم الأنانية فمن يُحِبْ لا يعرف الكراهية، وإنما يبتعد عنها وينبذها، وسلامة القلب تؤدي إلى القلب المنيب، وهو القلب المحب السليم.

قال تعالى في سورة (ق): ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧].

والأمن والأمان في حب الله: أن تشعر أن الجميع أفضل منك وأكرم وأقرب عند الله عنك هنا فالله يعزّك ويرقيك إن شاء الله.

(٣) استقامة في الخُلُق والحال:

- بذكر الله الدائم قلبا، والتسبيح لسانا، والتفكر فيه تعالى روحا.

- الاستغفار فور حدوث أي زلّة في اللسان أو تقلّب في القلب - أو عند حدوث عدم الاستقامة في القلب أو الجوارح، فإذا استقام الحال

فبفضل الله تكون على الاستقامة، وقد ينعم الله عليك، ويهديك إلى الصراط المستقيم مع الذين أنعم عليهم..

وقال الحبيب ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوا الدرجات العلى».

وفي سورة الفاتحة هذا الدعاء، وهو أعظم وأهم دعاء وهو أن ينعم الله عليك على الصراط فلا تشعر به ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

(٤) **الإيثار**: إيثار غيرك على نفسك في كل صغيرة وكبيرة إذا كانت خيرا.

(٥) **التبرؤ من الحول والقوة**: يكون في أغلب الأحيان متبرئ من الحول والقوة مع الأخذ بالأسباب، ثم التوكل على الله تعالى قلبا.

وفي الختام لموضوع الأخوة:

مثال عملي لحضرة النبي ﷺ في الإخاء.

حضرة النبي ﷺ:

- سيدنا جبريل عليه السلام والأنبياء والرسل.
- سيدنا علي بن أبي طالب.. ظاهرًا.
- سيدتنا فاطمة الزهراء.. باطنًا.

قد آخى سيدنا على كرم الله وجهه، وآخى وصادق وصاحب أبو بكر الصديق ﷺ وصاحب وصادق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

الصحابة كثيرون ينطبق عليهم الأخوة في الله والصديق والصاحب في الله رضوان الله عليهم جميعا لأنهم لهم مقام مغلق عليهم - فالتجريح فيهم أو في أي أحد منهم فسق وخروج من آداب الدين؛ لأن مقام الأنبياء مغلق عليهم - وكذلك مقام الصحابة مغلق عليهم.

أما مقام الصديقون فهو مقام مفتوح - كذلك مقام الأولياء مقام مفتوح لمن شاء الله تعالى.

ملحوظة:

الفكر المتطرف الشيعي مرفوض تماما لأنه يسب بعض الصحابة رضي الله عنهم فكلهم محب وصاحب وصديق وملتمس من الحبيب ﷺ ولا نفرق بين أحد منهم رضوان الله عليهم أجمعين.

ونسأل الله تعالى بحق حبيبه المقرب وعبده المخصوص ونبيه ورسوله الكريم أن يرزقنا حق الأخوة في الله بمعناه التحقيقي والتشريعي حتى نُرْزَق بمثل هذه الهبات والمِنَنْ وهو تعالى على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، فهو الله ربنا نعم المولى، ونعم المجيب لنا والنصير..

ثانيًا: في الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال عز وجل:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ

تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ [الحديد: ١-٦].

وقال تعالى:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢١-٢٤]

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦]. صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. وبه تعالى نستعين.

سبحانه: تنزّه بأحديته، وانفرد بوحدانيته، وملك بربوبيته، وقهر بعزته..

فما شاء وما لم يشأ كل ذلك وفق علمه ومشيئته، وما كان وما لم يكن كل ذلك بقدرته ووفق إرادته.

فلا حول لعبد عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوة لعبد في طاعته إلا برحمته، فهو الحي القيوم واجد المخلوقات به لا بها، وناظر إليها في علمه لا بوجودها فلا نهاية لعلوه، ولا فوق لسموه، ولا بُعْد لدنوه، ولا حِس في شهوده، ولا إدراك لحضوره.

سبحانه تعالى.. فهو الغني عن كل ما سواه، والمفتقر إلى جنابه كل مخلوقاته وكل ما عداه.. فلا ناقض لما بناه، ولا بقاء لما أفناه، ولا مُظْهِر لما أخفاه، ولا ساتر لما أبداه.. ولا مضل لمن هداه، ولا هادي لمن أعماه، فلا مانع لما أعطاه، ولا راد لما قضاه.. فقلب تعزز بغيره ما أذله، وعبد لم يقم بطاعته ما أضله، وعمر أُنْفِق في غير ذكره ما أقله..

فهو سبحانه وتعالى أحد ليس كمثله شيء، متقدس في علاه عن المثل والمثيل والأشباه والنظائر..

وهو واحد لا ثاني له ولا شريك معه..

فهو المطلق المنزّه فوق عباده القاهر..

وهو القريب.. معنا أينما كنا، والعليم بسر السرائر ولكنه تعالى غيب عن إدراك البصر والبصائر..

وهو الباطن في غيب غيب أحديته، ولكنه بما أبدع من إتقان وجميل صنعه زاهر، فكانت آثار ودليل وجوده للعقل والعين ظاهر..

وهو مطلق الكمال.. فالعقل في تعظيم جلاله خاشع وحائر، والقلب في حبه عاجز عن إدراك جماله الباهر.

فالحمد لله الذي أوجب محبته على المتحابين فيه..

فهو الحبيب لهم والأنيس والساتر والشاكر، والذي آنس بمعيته عبده الذي في نهاره ذاكر وفي ليله ساجد وساهر.

فهو ربهم وحبيبهم ومولاهم المجيب لهم القريب والجابر.

وبعد أن انتهينا من تفسير معنى (الأخوة) تحقيقًا وتشريعًا إيجاز أو إجمالاً نصل إلى الشق الأخير من الجملة وهو (في الله).

وينقسم هذا الموضوع (في الله) حول:

١- التعريف التحقيقي والتشريعي لحرف (في) الله تعالى.

٢- وأيضًا سنتكلم حول الأمور العقائدية الخمسة المهمة والمتعلقة بلفظ الجلالة (الله) للأخوة في الله.

٣- وأخيرًا سنطرح سؤال على أنفسنا وكل واحد منا يجيب عليه بما أعطاه الله تعالى من عطاء في طريق السلوك في حب الله عز وجل ورسوله ﷺ.

أولاً: معنى حرف (في) الملازم للفظ الجلالة

فالحروف الملازمة للفظ الجلالة (الله) المشهورة توجز في الآتي:

هناك حروف كثيرة وردت في القرآن الكريم ملازمة للفظ الجلالة (الله) ولكن أشهرها وأهمها في في موضوعنا هذا هم سبعة أحرف وهي:

(بالله) - (من الله، إلى الله، لله) وهم ثلاثة أحرف مع بعض، ثم ثلاثة آخرين مع بعض (في الله، على الله، مع الله أو عند الله).

وسنبدأ بإيجاز شديد ولكن غير مُخِلْ، ومرتبط بتعريف هذه الحروف بصرف النظر عن تصريف معناها في اللغة العربية، لأنها هنا مرتبطة بلفظ الجلالة، وهذا يعطيها بُعْدًا تعريفيًا أعمق وخاص إيماني وتحقيقي.

١) بالله:

(الباء) هنا هي تعتبر الفتح للخلق، وأن الخلق وُجِدَ وخُلِقَ وكل حركاته وسكناته بالرب الخالق له أي (بالله)- فلا يوجد خلق وُجِدَ بذاته، أو يحيا بذاته، أو يقوم بأي حركة أو سكون بذاته.. ولكن كل الخلق والمخلوقات الموجودة والغيبية تقوم (بالله) في كل أمر وفي كل شأن.

وهنا (الباء) هذه في المعنى السريع.. (بالله) تعني القيومية لله وحده فقط لكل مخلوقاته.

لذلك بدأ القرآن الكريم بأول سورة نزلت: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ وأيضًا بدأت سور القرآن الكريم بـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

فبالله وُجِدْنا، وبالله خُلِقْنا، وبالله نموت ونُبْعَث، وبالله كل أمر يخصنا. وهذا يعني تحقيقا أن معنى (بالله) دائرة واسعة تشمل الخلق والمخلوقات في جميع عوالم الملك والملكوت والعزة والجبروت. سواء كانت في عالم الغيب أو عالم الشهادة.. فالكل به تعالى لا بأنفسهم ولا بغيره تعالى.

وقد نقول مثلا (بالله) تُعَبّر عن مرتبة الإسلام.. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٢) ثلاث حروف مع بعضهم:

(مِن الله ، إلى الله ، لله).

هذه الحروف الثلاثة مختلفة في معناها التحقيقي والتشريعي..

وقد نقول مثلا أنها تمثل مثلث (الإيمان) داخل الدائرة الكبيرة (الإسلام) السابقة أعلاه.

فإذا تصورنا أن أول زاوية المثلث من حيث قاعدته على اليمين تبدأ بـ (مِنْ) فهذا يعني أن كل شيء منه تعالى ومن خزائنه التي لا تنفذ.

ثم إذا تصورنا أن آخر قاعدة المثلث في زاويته اليسار تعني (إلى الله) فمعناها أن كل شيء من الله يرجع إلى الله أي كل شيء منه وإليه تعالى.

ثم يبقى رأس المثلث (لله).. وهي تعني أن كل المخلوقات له تعالى، أي هو تعالى ملكها ومالكها وكل ما تملك فهو (لله) فالله تعالى ملك ومليك ومالك للسموات والأرض وما بينهما وما فيهن وما عليهن.

فيكون من الطبيعي حيث أنه تعالى الملك والمالك والخالق والواجد أن كل شيء من الله، وإليه يرجع الأمر كله.. لأنه له ملك السموات والأرض وما بينهما وما فيهن.

ويلخص هذه الحروف الثلاثة جملة إيمانية عظيمة ذكرها القرآن الكريم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ .

فكل شيء وكل مخلوق من عنده تعالى وبأمره تعالى بدأ، وكل شيء ومخلوق إلى الله يرجع ويعود.

وهذا المثلث بالحروف الثلاث مع لفظ الجلالة يمثل مرتبة الإيمان (مثلا)، ذلك بأن لله الأمر من قبل ومن بعد، ومنه تعالى كل شيء، وإليه تعالى يعود ويرجع كل شيء؛ لأنه الواجد المالك والملك والمليك لكل شيء سبحانه وتعالى.

٣) ثلاثة حروف (في الله، علي الله، مع أو عند الله):

وقد تقول مثلا أننا سنتعرف على هذا المثلث كما سبق في المثلث السابق، فإذا وصل قلب المؤمن للمعاني التحقيقية والتشريعية للمثلث السابق الثاني الإيماني وهو (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) داخل المثلث الإسلامي الأول وهو (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله) وأصبح العبد طموحًا في أكثر وأكثر وأكثر حبّ أنوار ذات الله تعالى، عندئذ إن صدق وأخلص السالك أو الأخ في الله في هذا الحب مجاهدةً وسلوكًا وأدبًا. سيصل قلبه وروحه في تماس ومعايشة في أنوار أسماء الذات الإلهية الجمالية والكمالية.

إذًا حرف (في) هنا لا تعني كما هي في اللغة داخل الشيء، ولكن تعني المعايشة والتماس لتجلي أنوار الذات الإلهية فقط؛ لأن الذات الإلهية منزّهة أن يخرج منها شيء أو يدخل فيها شيء.. فسبحان الله وتعالى عما يصفون فهو يصعد ويرتقى إلى المثلث الثالث داخل المثلث الثاني والأول السابقين..

ولذلك، وكمثال للتقريب: فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

وهذا معناه: أن الإنسان ليس في داخل الأرض بل يتعايش معها ويتماس مع بيئتها وخيراتها وداخلها وسماؤها.

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا ﴾ .

فهي تعني في حب ذاته تعالى بحب وعشق لأنوار تجلي أسماء الذات تعالى.

وأيضًا كمثال آخر وأخير.. قال الله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ .

وهذا ليس معناه أن صاحب هذا المقام في داخل هذا المقعد، ولكن متعايش معه ومتماس معه، فأصبح هو صدق، وقلبه أصبح المقعد لكل صدق.

فإذا صدق الأخ في الله والسالك في حبه تعالى في معنى (في الله) ستعلو أنوار روحه وقلبه فوق أنوار أسماء الأفعال للذات الإلهية وتتعايش وتعيش مع أنوار تجليات أسماء الذات الإلهية مباشرة، ويعني ذلك علو

المقام الروحي للسالك والمحب والأخ في الله، هذا العلو عبَّر عنه الله في مقامات كثيرة بكلمة (على الله) فمثلاً: هناك آية تذكر: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا يعني التوكل على الله.

وآية أخرى بدأت بحرف (على) - فقال تعالى: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾.

ومن هنا فأي (على) ملازمة للفظ الجلالة تعني: علو المقام إلى مقام أعلى، وكمثال أخير في هذا المجال - قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

أي أن الحبيب ﷺ أصبح أعلى من أي خلق عظيم، فإذا صدق السالك والأخ في الله في المعنى التحقيقي للحرفين (في الله) و(على الله) فسينتظر جائزة الله له التي ليس فوقها جائزة وهي محبته تعالى له.. أي معية العبد في أنوار حب الله وتجلياته أنوار ذاته تعالى.. وهي التي تمثل رأس المثلث الثالث والأخير (مع الله).

(مع الله) فليس فوق شرف المعية مع الله شرف..

هذه المعية تاجها وقمتها الحرف السابع، وهو (عند الله) فهو ليس حرف جديد على المعية ولكن يدخل مع معنى المعية ويمثل تاجها وقمتها.

فالمعية شرف عظيم.. فهو جائزة محبة العبد لله (مع الله) مثل:
﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

والعندية قمة هذه المعية.. أي الجوار والنظر إلى وجهه الكريم عز وجل كما قال تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥].

كذلك قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١].

فقدمت آسيا امرأة فرعون العندية عن البيت والجنّة.

هذا المثلث الأخير يمثل المرتبة الثالثة في دين الإسلام.. وهي كما نقول مثلا يمثل مثلث اليقين والإحسان. ويترجمها كلمة تسبيحية هامة، لا يستطيع أن يعايش معناها الحقيقي إلا كل من كان داخل هذا المثلث.. وهي: (لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم).

ملحوظة خاصة بموضوع الإنسان مسيّر أو مخيّر.

لقد نصحنا الحبيب ﷺ في عدم الدخول في تفاصيل ذلك، وكذا موضوع كُنْه ذات الله تعالى، وكذا موضوع القضاء والقدر في عدم الخوض في أي مما سبق، ولكن دون الدخول، وطاعة لما نصح به الحبيب ﷺ نؤكد فقط على ملاحظة إيمانية.. وهي:

١ - الإنسان عمومًا:

بالنسبة للشيء أو القول أو العمل إما وقع عليك أو وقع فيك أو وقع منك.

أ) ما وقع عليك: مثل القضاء والقدر أنت غير محاسب عليه وأنت فيه مسيَّر تبعًا لحكمته البالغة.

ب) **وما وقع فيك**: مثل شكلك وجنسك وطولك ونسبك.. فأنت غير محاسب عليه وأنت فيه مسيَّر تبعًا لحكمته البالغة.

ج) **وما وقع منك**: نيةً أو قولاً أو فعلاً.. فأنت فيه مخيرَّ، ومحاسب عليه.

وهنا تقع حجة الله لما كتبت وقدمت بيديك، فإن كانت حسنة فبفضل الله كسبتها في يمينك، أو سيئة فبما استحقت نفسك اكتسبتها في شمالك.

٢- المسلم والمؤمن عمومًا:

الإيمان بالمشيئة والتسليم للقدر خيره وشره.. مكانه القلب وليس العقل والبدن والعمل..

أما الإيمان بالعمل والأخذ بالأسباب فمكانه العقل والبدن والعمل وليس القلب..

فمع إيمانك الصادق بالمشيئة والتسليم بالقدر خيره وشره قلبًا.. إلا أن ذلك لا يوقف العمل، والأخذ بالأسباب.. قال ﷺ: «فإذا قامت الساعة وبيدك فسيلة فلتغرسها» .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤] .

فالدنيا بُنِيتَ على العِلّة والسبب.. والآخرة بُنِيَتْ على القدرة والمشيئة.

ثانيًا: لفظ الجلالة الله تعالى - (في الله تعالى)

أولاً: مرتبة الإسلام التوحيد:

١) وهي نفي الشرك والتعدد - فلا آلهة ولا أرباب مع الله الواحد الحق.. [لا إله إلا الله محمد رسول الله] والله واحد في مراتب أسمائه تعالى فالله - والرحمن - والرب كلهم هو الله تعالى.

٢) اعتراف وإقرار وطاعة للرسول ﷺ وبما نقله من الله تعالى بالوحي (الكتاب) - ومن الله تعالى بلسان الرسول ﷺ (السّنة).

ثانيًا: مرتبة الإيمان وحدانية:

١) نفيٌ للكفر بالكلية: [فالكفر يجمع الشرك السابق بالإضافة إلى عدم التنزيه، أو الإنكار].

٢) تصديق بالقلب مع ما سبق في الإسلام من قول وعقل وبدن.

٣) فالإيمان محله القلب؛ لأن القلب محل الحب، والقلب كذلك محل [النية، والإيمان، والتقوى، واليقين، والحب].

والإيمان يزيد وينقص ما دمتم في مرحلة علم اليقين.

أما إذا وصلت إلى مقام عين اليقين.. فإن الإيمان يثبت ويزيد من الله سبحانه وتعالى.. فقد قال تعالى: ﴿ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ .

ونوافذ القلب في الإيمان هي: (الحواس الخمس+ العقل) ولكن المركز النهائي لها هو (القلب).

ثالثًا: مرتبة الإحسان: أحدية صمديّة:

وهو نفي الشرك الخفي بالكلية - وهي مرتبة المعية والعندية، ولا طريق لها إلا بعين اليقين الذي لا سبيل له إلا المحبة في الله تعالى بالمجاهدة أو الاجتباء حتى تصل إلى حق اليقين.. وهنا يتعايش قلب المحب وروحه في شرف العندية.

ثانيًا: خمس أمور قلبية هامة في اعتقادك الإيماني والإحساني للسلوك في حب الله والوصول إلى الأخوة في الله تعالى

نؤكد على الأخوة في حب الله تعالى بالإضافة إلى الإيمان والتقوى والحب واليقين بالله تعالى فيما ورد سابقًا من حضرات وكتب نؤكد على خمس نقاط وهي:

١ - دوام تجديد الهجرة بالنية لله ورسوله:

سبحانه العليم القريب القادر.. في كل حركة أو سكون في السرّ أو العلن فبالإضافة إلى الإيمان بكل الأسماء الحسنى والصفات العظمى.. لا تنسى أيها الأخ المحب هذه الأسماء الثلاث، وهي العليم، والقريب والقادر.

فهو تعالى العليم بسر سرّك وما أخفى، وخلسات نظرك وهمسات قولك.. وهو أقرب إليك من نفسك، وهو الواحد الوحيد معك في الدنيا والبرزخ والآخرة.. فهو أقرب من نفسك لنفسك..

فإذا فكرت فيه يعلم ويراك.. وإذا ناجيته بقلبك دون لسانك يسمعك ويراك.. لأنك في الحق والحقيقة في قبضة قدرته وسمعه وبصره وعلمه.. فهو القريب منك حتى لو بعدت بنفسك عنه فأنت في قبضة علمه وقربه وقدرته..

سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.. فهو العليم القريب القادر الغالب على أمره..

فالأذكى والأعقل والأسلم.. للعبد المحب أن يكون دائمًا في حال مراقبته تعالى في هذه الأسماء الثلاث أينما كنت.. مع الهجرة بالنية إليه في العبادة والعادة.. في السكون والحركات.. والخطرات والأنفاس.. والطاعات.. والفرح والحزن والعطاء والمنع..

سبحانك العليم القريب القادر.. ما أقربك في علاك.. وما أبعدنا مع قربك إياك.. مَنْ يرحمني ويسترني ويحفظني غيرك وسواك.. يا مَنْ سعد بقربه المحبون.. ولم يشقى بعذابه المستغفرون.. واستجاب لدعاء مَنْ رضي به تعالى ربًا.. وهم المحبون المحسنون الموقنون..

٢- سبحانه الواحد الوحيد الفعّال لما يريد:

فما أصابك من مرض أو شفاء، أو ضر أو خير، سوء أو فرح، سعادة أو شقاء، مدح أو ذم، أو عطاء أو منع.. يُنْقل إليك عن طريق مخلوقاته من إنسان أو غيره كأسباب فقط.. أما نفس الأمر في كل ما سبق وغيره، فالفاعل فيه هو رب الأسباب وحده لا شريك له.. وليس الإنسان أو غيره..

فإذا أوذيت من شخص فارجع إليه تعالى.. وإذا أصابك ضر فارجع إليه تعالى.. فالوسائط والأسباب لا تملك من أمرها شيء.. ولكنها مُنَفّذة لأمر رب الأسباب والخلق.

فلتأخذ بالأسباب مع الأسباب، ولكنك تتعلق وترجع لربك ورب الأسباب رب واحد رب العالمين الله الرحمن الرحيم.

٣- سبحانه عنده مفاتيح وخزائن كل شيء يقينا لا ريب فيه:

ولا يوجد عنده مستحيل، سبحانه مَنْ يُحي العظام وهي رميم، فالرزق والصحة والولد بيده وأمره، والسكينة والسعادة والأمن والأمان في خزائنه طوعًا لأمره.. فهو الملجأ وبيده كل شيء فاعبده وتوكل عليه. وَادْعُهُ.. فلا يعظم أمر ما عليه ولا يعجزه تحقيق أي مستحيل.

فإذا شاء كان أمره بين الكاف والنون..

فلا يُسْأَل عما يفعل وهم يسألون.. فأي شك في قدرته عز وجل يعتبر نقص في الإيمان وشرك خفي.

هناك خزائن لا ينفع ولا تجدها إلا عند الله.. ذلك غير المال والرزق.. فهناك السكينة، الأمن، الأمان، الحكمة، النور الرباني - المعرفة الربانية - وراحة البال وحسن الخاتمة - الجنّة - البركة - الشفاء والعافية، والقبول والرضا .. الخ.

فيجب الأخذ بالأسباب، ولكن القلب فيه اليقين بالله، وهذا جزء من عقيدة أهل الحب المحمدي.

وما أُعْطِي للنبيين غير التشريع هو اليقين، وخير الدعاء بعد العافية هو اليقين.

٤ - حسن الظن بالله تعالى:

إن حسن الظن مع الخلق ضروري وتدريب لنا حتى نصل إلى حسن الظن بالله تعالى - وهو ضروري.. لماذا؟! لأن الله سبحانه وتعالى سيعاملك بالمثل في الدنيا وعند الميزان أي بمثل ما ظننت فيه تعالى.

ربي كيف لا أقف على بابك.. وأحسن الظن في رحمتك وعفوك وإحسانك، وأنا الفقير دائمًا لخير عطاءك.. وقد أحاطت بنا جميل نعمك وآلائك..

فاللهم هبّ لنا حبك ونورك.. يا نور يا ودود يا رب مع محبتك ورضوانك.

٥- الرضا بالقسمة: (هو مفتاح السعادة)

فإذا أحسنت الظن بالله.. وأيقنت أنه ما قسمه لك من قسمة في الشكل أو الرزق أو الولد أو الزوجة أو الطاعة.. هي عين خيرك ومصلحتك.. وهنا نؤكد أن مفتاح السعادة، وحق الإيمان هو الرضا بالقسمة، وإن لم تعجبك أو تقنعك أو ترضيك.

قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

واعلم أن ما قسمه الله لك هو أحسن شيء لك..

فالعليم الخبير يحبك.

اللهم اجعلنا نرضى بالقسمة والمقدور.

واحفظ قلبنا من التمرد أو الغرور.

نؤمن بك ونتوكل عليك، ونرضى بما قسمت في كل الأمور.

فاجعلنا عبيدك وعبادك في المحبة على مر الزمن والدهور.

آمين. آمين. أمين

ثالثًا: السؤال الذي يجب أن يجيب عليه العبد المحب؟؟

ولابد من المحب في الله أن يجيب عليه بالأمانة والصدق والسؤال هو:

إن لم يخلق الله تعالى الجنّة ونعيمها، والنار وعذابها - ألم يكن سبحانه مستحقا للحب والطاعة والعبادة والتوحيد؟؟

وحتى أكون مساعد وخادم وأخ، وصاحب، وصديق في الإجابة على هذا أذكر نفسي وأذكركم بالحقائق الآتية:

١) قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ ولم يقل العظيم وهو تعالى عظيم.. فقد سبق منه لنا كرمه وعلينا لطفه ورحمته وحنانه قبل عظمته وبلائه.

٢) سوّانا وعَدَلنا [أي جعلنا قائمين رأسيًا مع أن باقي كل المخلوقات أفقيا] وخلقنا بيديه، وأسجد لنا الملائكة، وعلمنا الأسماء كلها، بالإضافة أن جعلنا من أهل خير كتبه وهو القرآن ودينه هو الإسلام ورسوله ونبيه الخاتم وهو سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

فهو تعالى بلا استحقاق منّا بل محض فضل ونعمة وقديم إحسان.. هدانا إلى الإسلام ومَنَّ علينا بسيد الآنام والقرآن، وأنعم علينا بنور الإيمان، وعرّفنا الطريق إليه بالتعرف عليه واليقين والمجاهدة والإحسان،

وشرّفنا أن نكون من أهل تقواه وطاعته ومحبته والتي يَمُنّ بها فقط على عباده وأحبابه تعالى.

٣) خلق كل شيء في السموات والأرض من أجلنا وسخره لنا، وخلقنا فقط من أجله تعالى كل ذلك حبًا وتكريمًا لنا.. دون حاجة منه تعالى لنا أو منّا.. مطلقا فهو تعالى الغني بذاته في ذاته عن جميع خلقه ومخلوقاته.

يا عبدي..

ما خلقتك إلا لحضرتي، وما أوجدتك إلا لمحبتي.

فإنك ما أحببت شيئًا إلا صرت له عبدًا.

وأنا أريد أن تكون عزيزًا بأن لا تكون لغيري عبدًا.

فما أوجبت عليك طاعتي إلاّ لتكون بجواري في محبتي وأنعم عليك بمعيتي وتفوز بشرف رؤيتي.

٤) هل هناك من غنى عظيم وملك عزيز قادر.. يأتي عباده كل يوم في الثلث الأخير من الليل ويسألهم.

هل من مستغفر فأغفر له؟! هل من جائع فأطعمه؟! هل من عارٍ فأكسيه؟! هل من مكروب فأكشف غمّه وكربه؟! هل من مفضوح فأستره؟! هل من صاحب حاجة فأقضيها؟! هل من مبتلى فأعافيه؟! هل.. هل.. حتى مطلع الفجر!

وذلك في معنى ما جاء في الحديث الشريف الذي ذكر هذا أو كما قال ﷺ بل يجب أن نسأله في كل شيء وفي كل وقت.

٥) مَنْ غيره تعالى يغضب إن لم تسأله وتدعوه في كل أمر وفي كل لحظة؟! .

ومَنْ يبدل السيئات إلى حسنات ويعفو عن الكثير، ويحب التائب، ويجيب مَنْ يدعوه وإن كان مذنبًا عاصيًا، ويقول لبيك عبدي؟ غيره سبحانه، لا أحد غير الأحد سبحانه يفعل ذلك.

فسبحانه يقول: لبيك عبدي...

إن غفلت عني ذكرتك، وإن أذنبت أمهلتك، وإن عصيتني سترتك، وإن عدت إليّ على ما فيك قرّبتك وأحببتك، مَنْ ذا الذي أتى إلى بابنا صادقًا فرددناه، مَنْ ذا الذي لجأ إلينا فطردناه، مَنْ ذا الذي سعى في حبّنا وما أحببناه، مَنْ ذا الذي اعتصم بنا وتوكل علينا وما لم نكن حسْبه ونصرناه.

يا عبدي.. كن عاقلاً ذكيًا.. مؤمنًا فَطِنًا كيسًا:

مَنْ استعز بغيري فهو في الحقيقة الذليل.. ومَنْ استغنى عني فهو في الحقيقة الفقير.

ومَنْ استقوى بغيري فهو في الحقيقة الحقير.. ومَنْ انشغل عني بغيري فهو في الحقيقة الأعمى الضرير.

يا عبدي..

كل مَنْ أحبك.. أنا الذي جعلته يحبك.. فأنا وحدي الذي يؤلف القلوب..

وكل مَنْ يرحمك ويحنو عليك.. فأنا وحدي الذي ملأت قلبه بالرحمة والحنان عليك.

فأنا الجمال الذي خلق الجمال فما بُهرت بشيء من الجمال إلا وفيه تَجَلٍّ من شعاع ذرة من جمالي وصُبغت برحمتي وكمالي.

فأنا الذي قهرت قلوب الآباء والأمهات في العطف والحب لأولادهم.

وأنا الذي أنزلت السكينة والسعادة على من أشاء.. من خزائن سمواتي.

وأنا الذي أذكر مَنْ أحبه من الغافلين بأن تسد له جميع الأبواب فيصبح من المضطرين فلا يرى إلا بابي.. فيذكرني.. ويناجي ربه.. فأفرح بعودته وأجيب دعوته.

أمع كل هذا وغيره مما لا يتسع به القول لوقت يجعلك تحب أو تنشغل بغيري وتنساني واذكرني دواما حتى ترى كمالي وجمالي وإحساني ماذا تريد؟؟!

ماذا تريد؟؟؟؟ يا عبدي؟؟

١) إن أردت القوة فكن معي..

فانا وحدي ذو القوة المتين القوى العزيز.

٢) وإن أردت الغنى..

فأنا وحدي الرزاق الكريم المعطي الغني المغني الوهاب..

٣) وإن أردت ستر العيوب. ومغفرة الذنب وقبول التوب..

فأنا وحدي الستير الحليم العفو الغفور التواب الرحيم.

٤) وإن أردت العزة..

فالعزة لي ولرسولي ولمن أحبنا من المؤمنين.. فأنا وحدي العزيز الحكيم، العزيز الحميد، العزيز الرحيم.

٥) وإن أردت الجنّة فأنا وحدي مَنْ أدخل عبادي الجنّة بعد مغفرتي برحمتي وليس بأعمالكم.. فأنا أرحم الراحمين العفو الغفور الكريم.. الحنان المنان ذو الجلال والإكرام.

٦) وإن أردت رؤيتي وأُنْسى وجواري..

فاذكرني تجدني.. فمن وجدني وجد كل شيء ومَنْ فاتني فاته كل شيء، ومَنْ أحبني أحبه كل شيء، ومَنْ هابني خاف منه كل شيء.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم، عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، ومنتهى رحمتك، عدد ما أحاط به علمك، وأحصاه كتابك، وخطّه قلمك، وعدد ما أوجدته القدرة، وخصّصته الإرادة، وكما ينبغي لجلال وجه ربنا وجماله وكماله، وكما يحب ربنا ويرضى، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله، صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك لا منتهى لها دون علمك، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين، وعلى أهله وآله وصحبه أجمعين.

اللهم الفضل والنعمة بك ومنك وإليك..

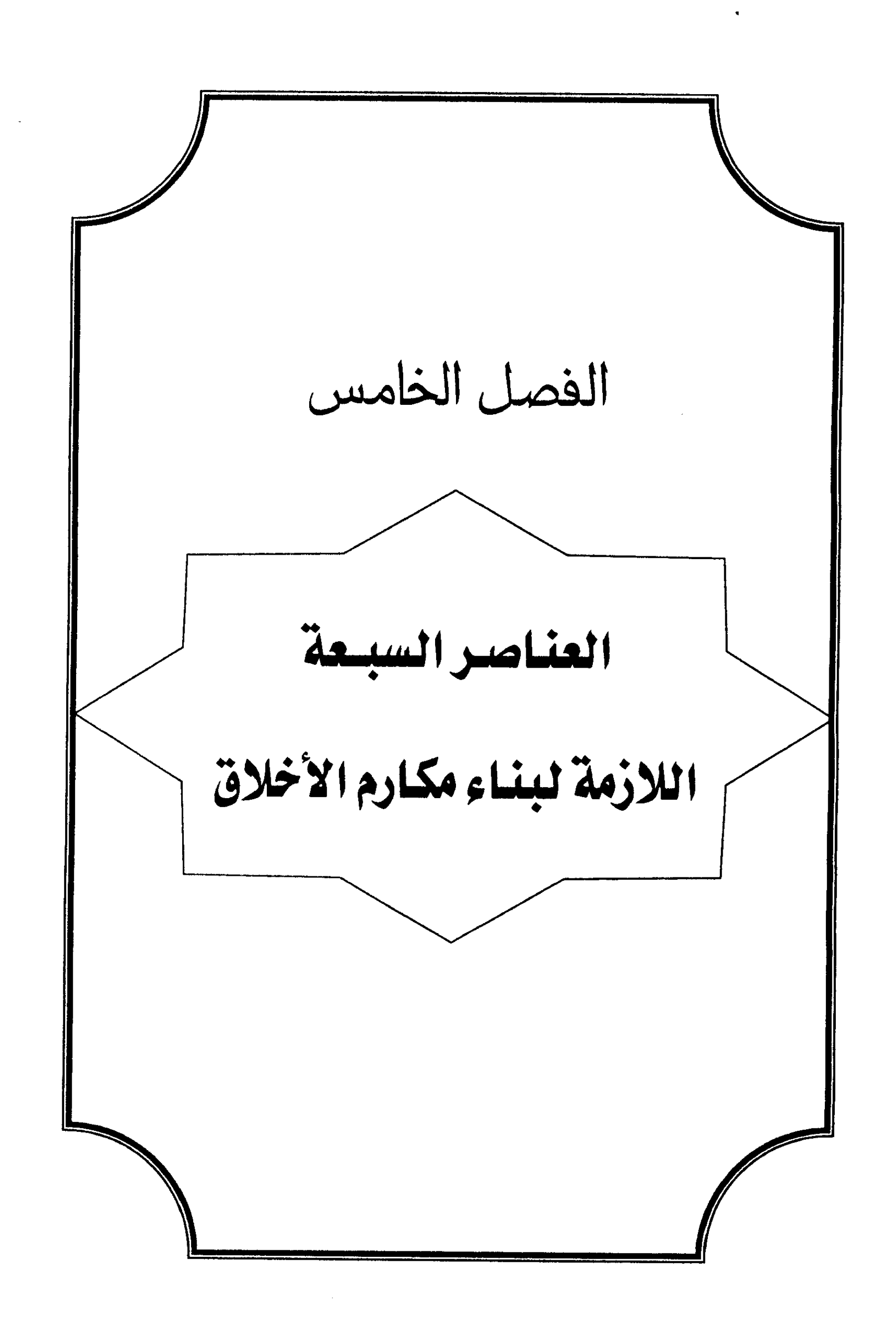
لا حول ولا قوة إلا بك

أستغفرك وأتوب إليك.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

وسلام على المرسلين..

والحمد لله رب العالمين.



الفصل الخامس

العناصر السبعة اللازمة لبناء مكارم الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم عليه وحده نتوكل، وبه تعالى نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا إله لنا غيره، ولا ربّ سواه، ولا نعبد إلا إياه وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده وحبيبه ونبيه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وكل من أحبه وأتبعه ووالاه.

هذا هو الفصل الخامس والأخير، وأيضًا سبق أن كُتب هذا الموضوع في كتاب سابق من كتبنا وهو أنوار اليقين، ولكن لأهميته وضرورته لكل مسلم مؤمن تقيّ خفيّ، ولكل موقن متبع محسن محب رأينا أن نضمه إلى هذه الباقة من الومضات الربانية، واللوامع الإيمانية، ويكفي الحديث الشريف [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق] أو كما قال ﷺ فهو عمود السلوك، ومقعد الصدق للخلق القرآني المحمدي الشريف.

العناصر السبعة لأسس بناء مكارم الأخلاق بإيجاز ومختصر مفيد إن شاء الله تتضمن الآتي:

أولاً: تَذَكُرْ الحقيقة المنسيّة وهي الموت:

وتتضمن ثلاث أقسام رئيسية:

١- الزهد في الدنيا: بالمعنى القرآني المحمدي.

٢- سكرات الموت والقبر نعيمه وعذابه.

٣- يوم الحساب: البعث- الحشر- النشر- الميزان- الصراط- الحوض- والجنّة والنار.

ثانيًا: محاربة (أنا) أي الأنانيّة:

وتتضمن قسمين:

١- حب التملك لذات التملك في الخلق والأشياء - دون ضرورة أو نفع بعيد عن معنى الحبّ.

٢- حب التحكم في الخلق ممن يحتاجونه وبالأخص الأهل أو الفقراء أي (أنا أولا وأخيرا).

ثالثًا: الصدق:

١- صدق الحال والقلب والنيّة .. مع نفسك.

.. مع الله.

.. مع الخلق.

٢- صدق الأفعال الجوارح واللسان .. مع نفسك.

.. مع الخلق

٣- معنى الصدق مكانه ومصدره النية والقلب وميزانه وصدقه أو كذبه يظهر في القول والعمل والمعاملة.

رابعًا: الأمانة:

١- الأمانة مع الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ في طاعتهم في الأمر والنهي والتكاليف والحرام والحلال وأحكام الدين في العبادة والحياة.

٢- الأمانة مع نفسك فيما تدّعى وتقول وتعتقد حتى تنجو من النفاق والرياء.

٣- الأمانــة في الأهــل.. وفي المــسئولية.. وفي العمــل.. وفي المــال والصحة والأولاد، وكل ما دخل في (كل راع مسؤول عن رعيته) للرجل والمرأة على السواء.

خامسًا: العدل:

١ - العدل مع نفسك فأبدأ بنفسك أولا ثم من تعول لأن فاقد الشيء لا يعطيه أي أعطى كلّ ذو حق حقه فمثلا [الوقت ٤ ساعات، ساعة لنفسك، وساعة لربك، وساعة لأهلك، وساعة لعملك].

٢- ثم العدل مع الأهل ومن تعول وبين من أنت صاحب قرابة لهم.

سادسًا: الحياء والأدب:

وأساسه أن يكون قلبيا باطنيا لا شكليّا مظهريا:

١ - مع الله ورسوله ﷺ.

٢- مع الوليّ المرشد.

٣- مع الناس.

سابعًا: الحب والمحبة:

يُرْجَع إلى كتاب من كتبنا السابقة المسمّى: [حب الله تعالى ورسوله ﷺ ما هو؟ لماذا؟ كيف؟ أين؟ ومتى؟].

وأيضًا فالحب والمحبة هي الهدف الذي نبغيه، وهو القصد في كل الكتب والحضرات الخاصة بنا.

عناصر مكارم الأخلاق
(تفصيل إجمالي)

أولاً: تذكر الموت كحقيقة وعبرة وليس تمني

قدّر الله تعالى لكل نفس في هذه الحياة الدنيوية أوقاتًا محدودة وأنفاسًا معدودة، وجعل لها أجلاً مكتوبًا لا تتعداه، ولا تتخطاه، ولا تتقدم عليه، ولا تتأخر ساعة، وبالعلم الحديث فيمتو ثانية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

والإنسان مهما اختلفت معتقداته ولكن الكل حق الموت واقع عليه.. ولكنه يتناسى أنه قريب وأقرب إليه من شراك نعله.. فالنفس لا تريد أن تذكره.. فذكر الموت ثقيل عليها لأنها تطمع في الدنيا وزينتها وطول الأجل.. وطول الأمل في الحياة.. فهي تسيطر وتهيمن على صاحبها وتقنعه بأن الموت حقيقة .. نعم ولكن بعيد عنه.. حتى يزداد الإنسان تعلقًا وتمسكًا بالحياة.. ومفاتنها وزينتها.. وزخارفها.. ويغرق في ملذاتها.. وينسى أنه في أي لحظة هو مفارق للدنيا ولأهله ولماله.. وأحبابه.. فيبعد عن ذكر الله.. وينسى ذكر الله.. ويغفل كيف يعدّ نفسه لهذه اللحظة.. وماذا أعدّ للآخرة.. وماذا أعدّ للقاء الله عز وجل.

فما أحوج الناس في عصرنا هذا.. الذي طغت فيه المادة.. وألهتهم زينة الحياة أو مشاكل الدنيا عن ذكر هادم الملذات ومفرق الجماعات.. نحن في حاجة إلى ذكر الحقيقة الوحيدة الأكيدة في هذه الحياة والتي لابد أن يذوقها كل إنسان وهي الموت.

ولقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الموت لما له من عظيم الأثر في النفس.. وفي ترقيق القلوب.. وتهذيب النفوس.. وتمحيص الذنوب.. والتزهيد في الدنيا.. وفي العمل للدار الآخرة بل أن النفس الأمارة بالسوء وهواها لا يردعها لا الصلاة ولا الحج ولا قراءة القرآن - ولكن يؤد بها ويهذبها ويصلح حالها أنها إلى الفناء والموت متجهة في أي وقت .

قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٨].

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وذكر الموت ينتج منه وعنه ثلاث جوائز وثمار هيَ تزكية وترقي لكل قلب مريض ونفس سيئة، وهي الآتي:

١) الزهد:

قال ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله» أو كما قال ﷺ

التعريف الحقيقي الإسلامي للزهد يتلخص في الآتي:

أن الزاهد ليس الفقير الذي لا يملك شيئًا، ولكنه هو الغنّي الذي لا يملكه شيء مما يملك.. إلا مالكه ربه ومولاه تعالى الذي يملكه وما يملك.

والزاهد ليس هو الهارب من الحياة، أو الذي يحرّم زينة الله الحلال.. بل هو من يجعل الدنيا في يده وتحت قدميه وليس في قلبه ولا همّه مطلقًا.. ولكن يعمل في الدنيا بالعلم والعمل، والأخذ بالأسباب؛ ليكون سيدها لا عبد لها ويكون عائلا لغيره وليس عالة على غيره، ويثبت للخلق وللناس أن الزهد قلبيّ وليس شكليّ ولا يمنع من الطموح والسعي دائما لحياة أرقى حلالا.

أنواع الزهد:

١- زهد المسلمين: ترك الحرام خوفًا من الله.

٢- زهد المؤمنين: ترك المكروهات حياءًا من الله.

٣- زهد المحسنين: ترك المتشابه حبا في الله.

قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» أو كما قال ﷺ.

فغير الزاهد يصبح يتفقد حاله وحظه ودنياه.. والزاهد يصبح يتفقد قلبه وكمال خلقه وإيمانه وآخرته دون أن يغفل عن دنياه.

مقامات الزهد: يولد الأنوار الإيمانية الآتية:

١- مقام حب الطاعة وليس أداءها فقط بل الشوق لأدائها والصدق والإخلاص فيها.

٢- مقام إيثار الآخرة على الدنيا، وأهله وأحبابه على نفسه.

٣- مقام إيثار الله ورسوله على الخلق وحبهم فوق وأشد كل من يحب.

كيف تخرج حب الدنيا وإيثارها عن الآخرة من القلب:

١- التفكُّر الشرعي:

إنها ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ١-٢].

إقامة مؤقتة لامتحان نتيجته إما نعيم أبدًا.. أو نار أبدًا فهي دار ابتلاء وامتحان وليس نعيم خالد.

٢- المطلوب عدم كراهية الدنيا ولكن إيثار الآخرة عليها:

لأن الدنيا لمن يحبه الله ولمن لا يحبه.. مثال ذلك: سيدنا سليمان عليه السلام، وذلك مثل لمن يحبه الله وأعطاه في الدنيا ملك لا ينبغي لأحد بعده - ومثال آخر وهو فرعون - وقارون وهم أعداء الله تعالى وأعطاهم الدنيا في صورة الملك والغنى الفاحش.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وقد قيل ورد في الأثر الشريف: والتي هي هواتف الحق القلبية وليست وحيًا ولا قرآنا ولا حديثا:

أن رب العزة يقول لعبده يا عبدي إن الدنيا لم أرض أن أجعلها دارًا ومقامًا لعبادي وأحبابي، بل جعلتها لحقارتها وزوالها نصيبًا لإبليس وجنوده من الجن والإنس وهم أعدائي.

يا عبدي...

الدنيا شرها عتيد، وخيرها زهيد، ليس لها حبيب، فقربها بعيد، وزوالها بالموت قريب.

يا عبدي..

الدنيا عزيزها ذليل، وكثيرها قليل، ولقاؤها فراق، وعرسها طلاق.

يا عبدي...

الدنيا أصلها سراب، وحرامها عذاب، ومتاعها عقاب، وزينتها حجاب، حتى حلالها حساب..

يا عبدي...

الدنيا إن أقبلت فهي الفتنة، وإن أدبرت فهي المحنة، فما سكنت قلب عبد إلا جعلت قلبه في همّ لا ينفك عناه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا ينتهي مداه..

يا عبدي...

لقد قلت للدنيا: (من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه).

ثانيًا: سكرات الموت والقبر نعيمه وعذابه

إن من ثمار وأنوار تذكر الموت، بالرجوع للقرآن الكريم وتدبر آياته في الموت والقبر نعيمه وعذابه ستطبع في القلب والنفس أمور كثيرة من حقائق وأنوار القرآن الكريم يدرك بها العبد أنه ما هو آت.. آت ليس ببعيد.. وما هو راحل.. راحل ليس بباقي أو بعيد.

قال رسول الله ﷺ :

- «أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب، ويزهد في الدنيا- وكفى بالموت واعظًا».

- «سُئِلَ رسول الله ﷺ : أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس». [رواه ابن ماجه].

- جاءت امرأة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تشكو قسوة قلبها فقالت لها: « أكثري ذكر الموت يرقّ قلبك » .

قال ﷺ: [لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به.. فإن كان لابد متمنيًا للموت فليقل: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي- وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»].

ندعوك يا رب بأن تحسن ختامنا ولا تتوفانا إلا وأنت يا كريم يا عفو يا غفور راض عنّا. ورغم أن رسول الله ﷺ قد نهى عن تمني الموت إلا أنه أوصانا بذكره والاستعداد له دومًا؛ لأن الموت يأتي بغتة، ليس له سن محدد، ولا ساعة معلومة، ولا مرض معين.. ولا ينجو منه أحد.. فالحبيب ﷺ .. قُبِضَ وانتقل إلى الرفيق الأعلى.. ولقد مات وقُبِرَ قبلنا أنبياء الله ورسله المحببون والمقربون إليه من عباده، فلماذا ننج منه نحن؟!!

قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

في هذه الآية خطاب للمتجاهلين والمتشائمين والغافلين.. والساهين عن ذكر الموت.. وهذا لا يجوز لأن الموت الحقيقة الوحيدة المؤكدة في حياتنا والتي لا نرى إنسان وقد فرّ منها.. حقًا إن الموت ليس النهاية، وإنما هو بداية الحياة الأبدية الخالدة.. وهي تكون إما نعيم دائم أو عذاب دائم.

اللهم لا تجعلنا من الغافلين.. واجعلنا من سعداء الدارين.. وثبتنا بالقول الثابت يا أرحم الراحمين.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد حضرة النبي الأمي الحبيب المحبوب، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والآن نعرج سريعا إلى لوامع الرحلة البرزخية للروح أي النفس بعد انفصالها عن الجسد.. صعودها إلى بارئها في الآتي.

إنّ النفس أو الروح تكون إما طيبة أو خبيثة: (الروح ما دامت دخلت الجسد البشرى في الدنيا تسمى النفس منذ دخولها في رحم الأم في جنين الطفل إلى يوم القيامة وهي أصلها الروح في عالم الذر قبل عالم الدنيا).

١) النفس الطيبة:

تنزل إليها ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من أكفان الجنّة، وحنوط من حنوط الجنّة.. حتى يجلسوا من صاحب النفس الطيبة مدّ البصر.. ثم يأتي ملك الموت ويجلس عند رأسه ويقول:

«ايتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» فتخرج تسيل كما تسيل القطرة ببرد سهولة وحنان فيأخذها.. فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين.. حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط.. ويخرج منها رائحة أطيب من المسك وجدت على وجه الأرض.. فيصعدون بها.. فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا سألوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا.. حتى يصعدوا إلى السماء السابعة.. فيقول الله عز وجلّ:

« اكتبوا كتاب عبدي في عِلِّيين وأعيدوه إلى الأرض.. فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى » ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له.. - من ربك؟ فيقول: ربي الله ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ .

فيقولان: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت.

فينادي منادٍ في السماء أن قد صدق عبدي فافرشوه من الجنّة وألبسوه من الجنّة وافتحوا له بابًا إلى الجنّة.. فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره.

ويأتيه رجل حسن الوجه.. حسن الثياب.. طيب الريح فيقول: أَبْشِر بالذي يَسُرُّك.. هذا يومك الذي كنت توعد- فيقول العبد: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير..!

فيقول: أنا عملك الصالح.. [أطعت، وعملت بما علمت، وجاهدت نفسك، وتواضعت، وحفظت لسانك، وخشيت ربك، ولم تطمع في الدنيا، ولم تظلم، ولم تكذب ولم تتكبر].

فيقول العبد: ربّ أقم الساعة حتى أنعم برحمتك بجنتك وجوارك ...

٢) النفس الخبيثة:

تنزل إليها ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح (نسيج خشن يلبس على البدن) فيجلسون منها مدّ البصر.. ثم يأتي ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: «أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضبه فتتفرق الروح في الجسد ذعرا وخوفا.. (اللهم إنّا نعوذ برضاك من غضبك وسخطك).. فينزعها الملك كما ينتزع الشوك من الصوف المبلل.. فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين.. حتى يجعلوها في تلك المسوح.. فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض.. فيصعدون بها.. فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا.. حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيستفتح له.. فلا يفتح له:

﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقول الله عز وجلّ: ﴿اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى﴾ فتطرح روحه طرحًا..

ويقول عز وجلّ في كتابه العزيز: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري – فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.. فيقولان: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.

فينادي منادٍ من السماء: كذب عبدي فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار.. فيأتيه من حرّها وسمومها، ويطبق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه.. قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أَبْشِر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد - فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالشر!

فيقول: أنا عملك الخبيث: [ظلمت، وكذبت، وغششت، وإغتبت، وتكَبرت، وتجبرت، ونسيت هذه الساعة، ونسيت وعد الحق] فلا يزال يعذب إلى يوم القيامة.

ويقول العبد: رب لا تقم الساعة - (يتمنى عدم قيام الساعة لأنه يعلم أن مصيره إلى النار).

(فالقبر إما روضة من الجنّة أو حفرة من النار).

<u>ثالثًا: ذكر أهوال يوم القيامة والحساب</u>

إذا كان الزهد .. طارد للشهوات من النفس..

إذا كان ذكر الموت .. هو الوحيد الكاسر لجبروت النفس.. وردعها وتأديبها.

فإن ذكر يوم الحساب.. بداية تعلق بالله تعالى وباليوم الآخر.

ويوم القيامة مقسم إلى:

١- البعث.

٢- الحشر.

٣- النشر.. توزيع الكتب.

٤- الميزان.

٥- الصراط.

٦- الحوض.

٧- الجنة والنار.

١) البعث:

إن المؤمن إذا خرج من قبره يكون أول من يستقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح ونور وضياء ويقول له: «أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا.. اركبني اليوم».

وإن الكافر إذا خرج من قبره يكون أول من يستقبله عمله في أقبح وأنتن ريح، ويكون على شكل دابة قبيحة عملاقة ويقول له: «أنا عملك السيء طالما ركبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك» .

٢) الحشر:

قال ﷺ: « يحشر الناس حفاة عراة غرلاً. قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: - الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟

قال ﷺ: « الأمر أشد من أن يشغلهم ذلك » أو كما قال ﷺ .

- «هذا اليوم مقداره خمسين ألف سنة - يخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من وقت صلاة مكتوبة » أو كما قال ﷺ .

وفي وصف بَعْضٍ من مشاهد يوم القيامة..

قـال ﷺ: «تـدنى الـشمس يـوم القيامـة مـن الخلـق حتـى تكـون مـنهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهـم في العَـرَقِ: فمـنهم مـن يكـون العـرق إلى كعبيـه، ومـنهم مـن يكـون إلى ركبتيـه، ومـنهم مـن يكـون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا » [رواه مسلم].

وهناك من تسعدهم أعمالهم فلا يصليهم حر الـشمس الدانيـة الحارقـة فيظلهم الله بظله حيث لا ظل إلا ظله، وهم من ذكـرهم رسـول الله ﷺ في هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعـا عليـه وتفرقا عليه، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شـماله مـا تنفـق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» [متفق عليه].

٣) النشر - وتوزيع الكتب:

عند تطاير الصحف.. هل يقع كتابك في يمينك؟

هل يقع كتابك وراء ظهرك؟ أو في شمالك؟

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق ٧: ١٢].

... اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، واجعلنا ممن يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عقاب ولا عتاب.. آمين.

٤) الميزان:

والمهمة الرئيسية للميزان هي تقدير عمل العبد الذي على أساسه تكون درجة العبد في الجنّة أو منزلته في النار..

كذلك تقرر المدة التي سيمكثها العبد في النار تكفيرًا لما ارتكبه من آثام، علما بأن لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله، ولا أحد يدخل النار إلا بعدل الله تعالى...

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة ٧-٨].

كذلك قال الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [القارعة: ٦ إلى ٩].

الله سبحانه وتعالى مالك الملك، هو الذي يقدِّر الأوزان، وهو الذي يقرر العمل الذي يُقْبَل في الميزان، وهو سبحانه العدل الذي يقسم المنازل

بالمثقال.. فإن الشرط الأساسي لقبول العمل الصالح في ميزان الحساب هو أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله تعالى.. وإلا كان العمل هباءً منثورًا تذروه الرياح.. فلا يزن يوم القيامة جناح بعوضة.

فمن يعمل أعمال الخير والبر والصدقات لإرضاء الخلق أو لنيل أي غرض دنيوي أو من يعمل ويؤدي فريضة من صلاة وصيام كذلك النوافل يؤديها ابتغاء إطراء ومدح من الخلق وغير ذلك من إرضاء لغرور نفسه.. هذا العبد لا يحق له أن يطلب الثواب من الله.. لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك فلا شريك له.. ولا يقبل إلا العمل الطيب الخالص لوجهه الكريم.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف ١٠٣ إلى ١٠٥].

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» [متفق عليه].

ولن تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع:

- عن عمره فيما أفناه؟

- عن شبابه فيما أبلاه؟

- عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

- عن علمه ماذا عمل به؟

فمن واجب كل منا أن يزن أعماله قبل يوم الميزان الأكبر حتى يعلم رصيده ويسعى مسبقًا إلى زيادته - عملاً بنصيحة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.. يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل».

٥) الصراط:

اجتياز الصراط: الصراط هو الموقف الذي عليه يتم فرز أهل النار من أهل الجنّة.

ولابد على كل عبد المرور على الصراط.. وتحته جهنم مباشرة والكلاليب تأخذ من يشاء الله تعالى بعدله من أهل النار.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٥- ١٨].

وقال الله عز وجل: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٦-٩].

وقال رسول الله ﷺ:

«ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: يا رب سلّم سلّم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان (السعدان نبات كثير الشوك وشوكه مثل الخطاطيف) تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق (وهو الذي فسدت عقيدته وفسد عمله) بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى».

أما أهل الله من عباده الصالحين والمحبين فيجتازون الصراط أسرع من البرق، وأما الذين أنعم الله عليهم ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فلا يشعرون ولا يرون هنا الصراط مطلقا.

وصراط الآخرة مرتبط بحالك في الدنيا أي صراطك في الدنيا إن كان مستقيما في الدنيا فطوبى لك والعكس صحيح فاستقم في حياتك تنجو على الصراط المستقيم.

٦) الحوض:

وهو حوض كبير سعة أهل الفوز والنجاة أي أهل الجنة عليه كؤوس للشرب بعدد أهل الجنة وحضرة النبي الكريم الشفيع العظيم هو إمام هذا الموقف الكريم، من شرب شربة من يده الشريفة لا يظمأ بعدها أبدًا .

وهو ﷺ يعرف محبيه من نور في وجوههم يظهر عليهم ناتج من كثرة صلاتهم عليه ﷺ ومحبته وأتباعه وحب الله تعالى وتقواه.

٧) الجنة أو النار:

قال ﷺ: «لو أن أحد من حور الجنّة برزت لأهل الأرض لأشرقت الأرض، وفاحت في الدنيا ريح المسك، وذهب ضوء الشمس والقمر خسوفا وكسوفا، ولو أن خازنًا من جهنم برز إلى أهل الدنيا لمات من في الأرض كلهم، ولو أن قطرة من قطران جهنم نزلت على الدنيا لأنتن الدنيا كلها» [أو كما قال ﷺ].

- «نساء الدنيا الصالحات أفضل وأجمل من حور العين» [أو كما قال ﷺ].

- «أطلبوا الجنّة جهدكم، واهربوا من النار جهدكم - وإن الآخرة محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة بالملذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة» [أو كما قال ﷺ].

- اللهم اجعلنا ممن تجري من تحتهم الأنهار في جنات الفردوس وعدن والنعيم، وممن أنعمت عليهم وهم على الصراط المستقيم، وممن سبقت لهم منك الحسنى سعداء الدارين - آمين.

يا عبدي...

.. قلب تعزز بغيري ما أذلّه ...

...وعبد لم يقم بطاعتي ما أضله..

.. وعمر أنفق في غير ذكري ما أقلّه...

.. فالمحروم من حجبته.. والشقي من طردته..

.. والقريب من رحمته.. والسعيد من أحببته.

يا عبدي ...

من استعزَّ بغيري فهو في الحقيقة الذليل. ..

ومن استقوى بغيري فهو في الحقيقة الحقير. ..

ومن استغنى بغيري فهو في الحقيقة الفقير. ..

ومن انشغل عني بغيري فهو في الحقيقة الأعمى الضرير.

يا عبدي...

إنك ما أحببت شيئًا إلا صرت له عبدًا. ..

وأنا لا أريد أن تكون لغيري عبدًا.. ..

لذلك فإني ما أوجبت عليك طاعتي إلا في الحقيقة لكي أدخلك جنَّتي وتفوز بمعيتي ومحبتي ورؤيتي.

ثانيًا: محاربة الأنانية
أي إيثار الغير مثل نفسك أو أكثر

وهذا الشعار هو الميزان الحق لمعرفة حال كل منّا وأين هو من مكارم الأخلاق..

[زِنْ دينك على حسن خلقك، وزِنْ دنياك على حسن معاملتك]

وقال ﷺ: « أحب لأخيك ما تحبه لنفسك » [أو كما قال ﷺ].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٢٦) ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال أيضًا سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا (٣٦) وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا (٣٨) ﴾ [الإسراء: ٣٦-٣٨].

أولاً: التعريف بمعنى إيثار الغير مثل النفس أو أكثر:

يتركز على فطام النفس وتربيتها على ترك أمرين:

١) الأنانية المطلقة- [أنا خير وأفضل من كل من حولي، أنا أولى بكل نفع قبل كل من حولي].

٢) حب التملك لذات التملك: [أي أنك سيد من حولك فمن حقك أن يكون ملكك بغطاء مزيف باسم الحب..].

٣) حب التحكم فيمن أنت مسئول عن رعاياتهم، تأمر فتطاع، فأنا فوق الجميع والكل دوني وتحتي أتملكهم وأتحكم فيهم.

١) الأنانية المطلقة:

ورمزها كلمة (أنا) وذلك في كل ما يلي:

١- حب التميز عن غير حق أو استحقاق وحب المديح له فقط ولو كان رياء أو نفاقا، فنفسه تطرب بالمديح حتى ولو لم يكن فيه حقيقة.

٢- الشخص الأناني يعتقد أن كل ما يصدر منه فهو صحيح وغير قابل للمناقشة أو المراجعة.

٣- الشخص الأناني دائمًا أبدًا يلصق كل الأعمال الناجحة وكل الأقوال المفيدة له فمثلاً: هو الذي فكر.. هو الذي دبر.. وأن هذه الأعمال لم ينجزها أحد من قبله.. وهكذا..

٤- لا يفكر إلا في راحته هو أولاً.. ومزاجه أولاً وأن حقه في كل هذا أولاً.. وتحقيق شهواته قبل لوازم معينة من يعولهم أو من هم حوله.. سعادته هو فقط ولو على شقاء الآخرين، ولو يظلمهم أو غمط حقوقهم، حتى طعامه، قلبه، مظهره، فوق الآخرين لأنهم في فكره كلهم دونه.. فهو لا يفكر إلا في مصلحته هو أولاً دون النظر لأحوال الآخرين أو احتياجاتهم أو حقوقهم أو رعايتهم.. فنفسه هي شغله، وهو طاووس فيمن حوله..

٢) **حب التملك لذات التملك:**

وليس بالضرورة أن يكون حب التملك للمنفعة ولكن يكون التملك للمظاهر والتفاخر وبالتكاثر والمباهاة.. وإرضاء الأنا على حساب الآخرين.

أ - بالنسبة للخلق:

يدّعى هذا الإنسان الحب والعطاء والغيرة والخوف على من يحب سواء زوج أو زوجة أو أولاد.. فيتحكم فيهم تحت هذا الشعار المزيف ولكن في الحقيقة لا يكون هذا من منطلق حبه لهم.. وإنما هو حب لذاته.. وحب التحكم فيهم، لأن حقيقة الحب أركانه الثلاث هي: الإيثار، والعطاء، والتضحية.

ب- بالنسبة للجمادات:

كذلك حبّ التملك للأشياء للرغبة في التفوق والتفاخر على الغير.. مادامت دخلت النفس شهوتها وحب تملكها.. فلا يهنأ للشخص بال ولا نوم حتى يتم تملك هذه الأشياء.. وهنا ينتهي الأمر.. دون ضرورة أو نفع له.. ولكن هواه وشهوته وضرر وظلم لكل من حوله أو تحت رعايته.. فهو وحده الأنا والكل من حوله لا شيء.

ثانيًا: مظاهر وصفات وعلامات الأناني:

أ) الصفات:

١ - معجب بذاته.. شكله، تفكيره، عمله - أغلب حديثه عن نفسه فقط التي تصيب ولا تخطئ أبدًا خالي من العيوب.

٢- كبر في قلبه.. يأمر فيطاع، يضيق بالنقد، يسعد بالمدح وإن كان نفاقًا..

٣- غرور في النفس.. يولد عنده سوء الظن بالغير مع حب نقد الغير باستمرار والمدح في نفسه.

٤- أنانية في المعاملة.. العطاء له أولاً، والسرور له أولاً، الراحة له أولاً، دون حساب لأي آثار أو أضرار جانبية تؤذى من حوله...

ب) المظاهر والعلامات:

١- إذا أحب [فالحب عطاء وإيثار وتضحية] يكون حبه ذي غيرة مريضة (لأن الغيرة السليمة حسنة) وحبه يكون هو حبّ تملك وليس حب للآخر.

٢- ضيق الصدر: في مواجهة الرأي الآخر والمضاد.. حتى ولو كان نصيحة، بل لا يقبل أي نصيحة أو شورى وإن أظهر كذبا قبولها.

٣- الإحساس بالكمال: في كل شيء تقريبا - ولذلك يرى أن جميع الخلق بهم نقص وبهم عيوب إلا هو.

٤- عند أي أمر لا يرى إلا نفسه فقط دون الآخرين.

٥- كثير الظلم وعدم الاعتدال في المعاملة.

٦- يجب أن يكون دائمًا هو بؤرة ومحل الاهتمام وأن كل من حوله يدورون حوله ولا ينشغلون إلا به فقط.

ثالثًا: الأسباب:

١) الغفلة عن أن الله تعالى الذي هو الواهب لكل فضل وكل خير، فينسب كل فضل وخير له.

٢) الغفلة عن صفات الله تعالى.. أن الكمال والعظمة والكبرياء لله تعالى أما النقص والعيب فهو من أصل خلقتنا وصفاتنا.

- قال ﷺ: «كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون» [أو كما قال ﷺ].

٣) الغفلة أن الخلق كلهم يكمل بعضهم البعض.. فقد خلق الله تعالى حواء لآدم وخلق لهم ذريتهم الصالح منهم والطالح والكل يكمل الكل في الدائرة الإنسانية، من مهندس لطبيب لعامل لفلاح لغني لفقير، لرجل لأنثى وهكذا...

٤) الغفلة أن هذه صفات إبليس اللعين [الكبر – الغرور – والحقد - والحسد والكذب] والغيرة من الآخرين.. (أنا خير منه).

رابعًا: العلاج:

١) تَذَكَّر أولاً:

١- الموت: فأنت جاهل ناقص ضعيف عاجز إلى الموت سائر، منذ ساعة ولادتك.

٢- حقيقة صفاتك: النقص والعيوب - وأنك فقير تحتاج إلى طعام وماء ونوم ومال وزوجة وأولاد.. الخ.

٣- أنك ممتحن في هذه الدار: أ- بالنعم. ب- وبالخَلْق والأهل.

٢) تَذَكَّر ثانيًا:

أن العزة والعظمة والكبرياء والكمال والبقاء لله تعالى فقط وهو وحده الأنا الفرد الواحد الأحد الصمد الغنيّ في ذاته بذاته عن جميع خلقه ومخلوقاته ومن دونه سبحانه فقير إليه تعالى وهو تعالى الحيّ الدائم الباقي الوارث..

٣) تَذَكَّر :

المرض وقد تكون عبئًا على الآخرين - والشيخوخة فتصبح عالة في حركتك على الآخرين.

٤) إياك:

والرضا عن نفسك وكثرة الشكوى من الله للأهل أو الخلق، فاشكر الناس تعرف كيف تشكر الله، وارض عن الناس تعرف كيف ترضى عن الله، وأتهم نفسك دائمًا بالتقصير وعدم الرضا عنها تكن في مأمن من الغرور.

٥) إياك:

أن تحتقر أو تستصغر أو حتى تنتقد أي خلق من خلق الله وتَذَكَّر أن:

- النملة والهدهد أحاطوا علما بما لا يعلم سيدنا سليمان عليه السلام.. ما لم يحط به علما.

- وإن الخضر عليه السلام علَّم سيدنا موسى عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بعض من علوم الغيب والحقائق الربانية الباطنية لم يكن يعرفها سيدنا موسى عليه السلام.

وسيدنا سليمان أفضل مقاما من الهدهد والنملة، وسيدنا موسى أفضل مقاما من سيدنا الخضر عليهم جميعا السلام - فالإحاطة من كل شيء بكل شيء خصوصية العليم الخبير الحكيم سبحانه وتعالى فقط مع العلم بأن خصوصية سيدنا الخضر مثلا لا تعني الأفضلية، فالأفضلية لموسى والخصوصية للخضر عليهما السلام، والخصوصية لا تعني الأفضلية.

الختام: الأحاديث الشريفة الآتية:

قال رسول الله ﷺ :

١) « لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » [مسلم].

٢) « ألاِ أخبركم بأهل النار: كل عُتُلّ (قاسي القلب)، جواظ (معجب مختال) مستكبر » [الشيخان].

٣) « من تواضع لله رفعه » [أحمد].

٤) « اللهم أعوذ بك من نفخة الكبرياء » دعاء نبوي شريف.

الحكمة :

... كم من عزيز صار ذليلا.

... كم من غني صار فقيرا.

... كم من صحة صارت ضعفًا ومرضًا.

... كم من عابد لم يختم له بحسن الخاتمة.

[عبدٌ عديم= (لا شيء)، رب كريم رحيم هو وحده الذي يقول عن نفسه (أنا)]

ثالثًا: الصدق

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: « عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ، والبر يهدي إلى الجنّة، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار » [الشيخان].

فالصدق والحق أساس ديننا الحنيف.. وبهما يتم بناء قاعدة الدين وبنيانه.. وكذلك بهما يتم الصعود والترقي في مقاماته إن شاء الله.

والحق والصدق وجهان لعملة واحدة.

الحق.. هو اسم لله تعالى وكل ما صدر منه أو عنه فهو حق..

والصدق.. هو صفة للعبد المؤمن.. فيكون العبد صادقًا ويصل إلى مرتبة الصدّيق..

وحتى نتعرف ونعي.. وندرك معنى الحق والصدق.. نتعرف على المضاد لهما..

- عكس الحق.. هو الباطل.
- عكس الصدق.. هو الكذب.

فالباطل والكذب هما الإثم والحرام.

والصدق هو تاج خلق المسلم الصحيح في دينه ودنياه وآخرته خلق ومعاملة، عادة وعبادة وهو صفة من أهم صفات وأخلاق الخير كلها.. فالصدق دائمًا طريق البرّ.. طريق الجنّة فتحر الصدق وإن وجدت فيه الهلكة ففي الحقيقة هو باب النجاة، وإياك والكذب وإن وجدت فيه النجاة فهو في الحقيقة باب الهلاك.

شرف الصدق:

لقد بعث الله تعالى إلينا بأمور وإشارات حتى نؤمن ونعتقد بشرف وفضل الصدق.. والذي به يكون الدين الذي يرضاه لنا وبدونه لا يتم الإخلاص وبالتالي لا يكون الدين خالصًا لله تعالى..

(١) والصدق يختم به آية قرآنية أو حديث نبوي شريف فنقول مثلاً:

- صدق الله العظيم.
- صدق رسوله الكريم ﷺ.

– علّمنا الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ بأن الأدب يقتضي بعد ترتيل آياته الشريفة أو سماعها أو كتابتها أن نقول بعدها مباشرة: (صدق الله العظيم).

– كذلك علّمنا أن الأدب يقتضي بعد قراءة أو سماع أو كتابة ما قاله حضرة النبي ﷺ من أحاديث شريفة نبوية أن نقول بعدها مباشرة:

(صدق رسوله الكريم ﷺ)

– والله تعالى سمى الدين والقرآن بالصدق – قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

– والله تعالى ورسوله الكريم ﷺ يعلموننا أن الصدق من أعظم الصفات فهو أساس الدين واسمه، صفة القرآن الكريم كما أنها هي صفة حضرة النبي الحبيب ﷺ: قال تعالى:

﴿ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

﴿ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(٢) اسم أطلقه الله تعالى على عبده وحبيبه قبل الرسالة:

الصادق الأمين:

لقد أنطق الله تعالى مشركي قريش رجالهم ونسائهم وأطفالهم وشبابهم بأن وصف من سيبعثه نبيًا ورسولاً لهذا الدين هو بتلقيبه

(الصادق الأمين) فأهل قريش ومَنْ حولهم كانوا ينادون حضرة النبي ﷺ تلقائيًا بما لمسوه ورأوه خلقًا ومعاملة منه: (الصادق الأمين).

وكأن الله يريد أن يعلمنا ويقول لنا من قبل بعثة الحبيب ﷺ بأن: أصل خصال وصفات الخير للعبد الذي يؤمن بهذا الدين الحنيف هو: الصدق- والأمانة- وأن جناحي هذا الدين الخاتم الكامل هما الصدق (الخلق) والأمانة (المعاملة) فبهذين الجناحين يطير المؤمن من تراب الدنيا إلى نور الملكوت الأعلى إلى نور الله رب العالمين.

(٣) اسم للفئة التي تلي الأنبياء مباشرة:

الصديقون:

الصديقون هم قمة أهل الصدق قلبًا وقالبًا.. ظاهرًا وباطنًا. سرًا وعلنًا. لذلك جعل الله تعالى مقامهم بعد مقام النبوة مباشرة مقام الصديقين قال تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

والفرق بين الصادق والصدّيق:

- الصادق: هو من يجتهد في الصدق بالجهاد وتزكية النفس.

- الصدّيق: هو من أهل الكمال والاجتباء فقد وُهب الصدق الكلي في الحال والمقال.

- والصديقين جعلهم الله درجة بعد الأنبياء مباشرة بل زكى بعض الأنبياء فقال (صدّيقًا نبيًا).

أما الصادقين فلقد كرّمهم الله تعالى فجعلهم بعد الصابرين مباشرة والذين هم أعلى درجات في المقامات الإيمانية - فقال تعالى:

﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

(٤) اسم للفئة التي أوصانا الله تعالى بصحبتهم:

الصادقين:

أوصانا الله تعالى أن نكون بصحبة الصادقين وجاء ذلك في أمر قرآني فقال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

علم الله تعالى ضعفنا وقصورنا وقدرتنا بأننا سننجح بتوفيقه في التقوى ولكن لن ننجح في الصدق فعوّض لنا هذا بصحبة الصادقين.

(٥) الجائزة التي أعطاها الله تعالى لحبيب رسول الله ﷺ :

- الصدّيق أبو بكر الصديق- وجوابه الثابت كلما سُئِل عن ما يقوله حضرة النبي ﷺ : « إن كان قال فقد صَدَقْ » .

وكان يقولها بيقين ثابت وإيمان قوى، وكان حبيبًا وصديقًا ومعينًا للحبيب ﷺ فأعطاه الله تعالى هذا اللقب (الصدّيق).

(٦) قرين التقوى:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

(٧) طريق الجنّة:

قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنّة » [الشيخان] أو كما قال ﷺ .

«أنا زعيم بيت وسط الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا» [البيهقي] صدق رسول الله ﷺ .

عار الكذب:

١) **صفة إبليس الأولى:** قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

- ذلك الكذاب تنزل عليه الشياطين.

٢) **طريق الفجور:** قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار » [الشيخان]

صدق رسول الله ﷺ

٣) ينقص الرزق.

٤) يصاب بالمهانة.

٥) يصاب بالشرك الخفي.

٦) يصاب بالخشية من الناس.

٧) يصاب بسواد الوجه عند الموت والبعث.

أنواع الصدق: نوعان:

- من الداخل - من الخارج.

الصدق من الداخل:

١) صدق اللسان = الإسلام .. عكسه: الكذب والفجور والمعصية.

٢) صدق القلب = الإيمان .. عكسه: الشرك الخفي والنفاق.

٣) صدق الحال = الإحسان .. عكسه: حبّ المظهر والسمعة.

٤) صدق العمل = الإخلاص .. عكسه: الغش والخداع والمراء والرياء.

الصدق من الخارج:

١) **صدق مع نفسك:** إما تكون منافق أو عاصي أو غافل.

أو تكون مسلم أو مؤمن أو محسن.

٢) **صدق مع الله:** تكون راضي وشاكر وطائع،«قل كل من عند الله».

٣) **صدق مع الخلق:** حسن القول والمعاملة دون تباهي أو تفاخر بزينة أو مال أو جاه ودون الخوف من نقدهم أو ذمهم فيك، ودون التصيد للمديح لك أو المديح الكاذب لك.

الوقاية والعلاج:

١) الحذر من النفس:

لأنها إما تخشى الخلق ولا تخشى الله فخشية الخلق تؤدي خوفا إلى الكذب وإما تريد أن تتباهى وتتكبر على الخلق وهذا يؤدي بالمبالغة في الحديث عن نفسك وكل ذلك يؤدي إلى الكذب والمبالغة واختلاق ما ليس بحقيقه بداع وبغير داع.

٢) الحذر من الشيطان:

فالشيطان إما ينسيك أمر الله وهو الصدق وعدم الكذب.. وإما تكون مثله في صفته وهي الكذب.

٣) الإيمان واليقين:

١- لا نفع ولا ضر إلا من الله تعالى وحده لا شريك له.

٢- أن يكفيك علم الله فيك ولا ينفعك علم الناس فيك.

٣- أن ما نفعله من حج وصلاة وزكاة وعمرة وقرآن قد لا يقبل مع الكذب وعدم الصدق - فكم من مصلّي لا يناله من صلاته إلا الركوع، وكم من صائم لا يناله من صيامه إلا الجوع.

٤) كل ما يعتريك من أحوال:

هي من الله تعالى سواء كنت مستحقها مثل مرض أو ذلّ أو ذنب أو فقر أو هي محض إحسان منه تعالى ليس لك فيها شيء مثل: الصحة والهداية والبركة والتوفيق والسعادة.

٥) قبل فتح فمك بالكلام أو نية قلبك أو عمل بدنك:

اسأل نفسك في ثانية:

هـل هـذا العمـل لله والرسـول.. أو يـرضى الله والرسـول أم للـنفس والخلق والدنيا؟؟

٦) الإيمان واليقين:

١ - أن الله أعلم بما في السرائر.. يعلم السر وأخفى قال تعالى:

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

٢- أن الملكين يكتبان كل حرف وحركة وذرة:

﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

٧) وقفة للحساب كل يوم مع نفسك؟ وحاسب الآتي فيك؟:

١ - في اللسان والقول..؟

٢- في القلب والحال..

٣- في العمل والبدن.

رابعًا: الأمانة

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال حضرة النبي ﷺ :

« لا إيمان لمن لا أمانة له » .

«إن القتل في سبيل الله يُكَفِّر عن كل شيء إلا الأمانة» .

صدق رسول الله ﷺ .

أولاً: تعريف الأمانة:

الأمانة هي حسن المعاملة، وحسن المعاملة هو الوفاء والإخلاص.. أي الوفاء في العهود.. والإخلاص في الوعود وحفظ المواثيق وأداء الواجب وإعطاء الحق وحفظ السرّ.

والأمانة عكسها: الغش، والفجور، والغدر ونقض العهد والوعد.. وكل هذا يسمى « الخيانة » .

وكلمة الأمانة تشتق من الإيمان.

والإيمان: هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

ويخرج من الإيمان:

١- الأمانة.

٢- الأمن والأمان: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثانيًا: شرف الأمانة:

هو العبادة لله وحده لا شريك له في كل ما أمر ونهى أي طاعة الله تعالى كما أنزل في كتبه وهي فضل التكليف للإنس والجن معا قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

١) ففضل الأمانة التكليف للثقلين هي الإنس والجن معا:

أما الأمانة للإنسان فقط فهي شرف الخلافة لآدم وذريته فقط قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

أصل الأمانة للإنسان فقط يفسرها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وهنا الأمانة متعلقة بالإنسان فقط دون الجن، فتكليف العبادة للثقلين أما أمانة الخلافة فهي للإنسان فقط لأن أصل الأمانة أن فيك أي الإنسان سرّ النفخة الربانية التي تحمل بعض من ظل صفات الله تعالى كالخلد والملك- فالأمانة أن ما بك من ظل هذه الصفات الربانية هي خصوصيّة لربك أما أنت فيجب أن تتذكر صفاتك أنت من جهل وفقر وعجز

وفناء.. وأن تستعين على صفاتك الناقصة المعيبة بصفاته تعالى مثل (أسألك يا رب بعزك في ذلي، وبغناك في فقري وبعفوك في ذنبي.. الخ).

٢) الصادق الأمين:

الأمانة هي صفة حضرة النبي الحبيب ﷺ من قبل البعثة.. فكان لقبه الأمين وكان المشركون ينادون عليه بالأمين وكذلك من شرف اسم الأمين أنه كان من أسماء سيدنا جبريل عليه السلام وكذلك كان لبعض الرسل والأنبياء.

٣) أساس الإيمان:

(لا إيمان لمن لا أمانة له) كما قال ﷺ المؤمنين هم الأمناء.

٤) جعلها الله تعالى ضمن بعض الشروط الأساسية للمؤمن الفالح أي الفائز أي الناجي:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

٥) جعل الله تعالى الاسم الأعظم للقبول والإجابة هي نفس الاسم (آمين).

ثالثًا: عار الخيانة:

١) أساس النفاق وهي خصلة من خصاله.

٢) يُحْرَم من قبول الأعمال بسبب الغش والغدر.

قال ﷺ: « من غش فليس منّا » .

٣) ضمن الفئات التي يبغضها الله تعالى والبعيدة عن رحمته بل يضلّهم ولا يهديهم- قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحجر: ٣٨].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٧].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢].

رابعًا: أنواع الأمانة:

١) بالنسبة للمسلم:

أ) في داخله النية والقلب: قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

ب) بالنسبة للجوارح: الأمانة في الكلمة والنظرة وفي المعاملات، وفي العبادات، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢) الأمانة مع الأهل:

مع الآباء والزوجة أو الزوج والأولاد.. إعطاء كل ذي حق حقه بالنسبة للأمور الدنيوية.. وكذلك معاملتهم كما أمرنا الله تعالى من الناحية الدينية.

٣) الأمانة مع الخلق:

في حفظ الميثاق أو العهد أو الوفاء بالدين، وحفظ السرّ، والوفاء بالوعد والموعد.

٤) الأمانة في العمل:

مع المسئولين - الأمانة في المال - الأمانة في الكلمة - الأمانة في المسئولية.. الأمانة في الرعاية (كل راعي مسئول عن رعيته).

خامسًا: الوقاية والعلاج:

١) تجديد النية ودوام التوبة.

٢) اليقين من رقابة الله عليك: أن نكون على يقين أن الله هو السميع.. البصير.. العليم.. المحيط والقدير.

٣) أن نتجنب النفع الزائف العاجل فهو دائما - يجلب شقاء الدارين ونسعى دائمًا إلى النفع الحقيقي ولو كان قليلاً.. فإن الله يضع البركة وكل الخير في الأمانة والصدق.

٤) أن نحرص على الصدق في كل نية وعمل وفي كل كلمة حتى يكون فيها الأمانة وهي خلوص القصد لله تعالى ورسوله، فمن غير الله تعالى يشفيك ويحفظك ويغنيك ويعزك ويسترك، غيره تعالى الله وحده لا شريك له - وليس الخلق مطلقًا.

خامسًا: العـدل

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

قال رسول الله ﷺ عن رب العزّة:

«يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا..» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «إن الظلم ظلمات يوم القيامة» .

ولقد كررها ﷺ أربع مرات مع التحذير من الطغيان أو الظلم.

الميزان هو رمز العدل والعدالة- (ونلاحظ أن كفتيّ الميزان يمسكها رجل معصوب العينين وهذا معناه .. بلا هوى).

أولاً: معنى العدل:

العدل.. هو إعطاء كل ذي حق حقه.. دون تدخل الهوى.. وعدم اغتصاب حق أو عدم انتقاص حق أو عدم التحيز لطرف دون الآخر في الحقوق أو المظالم.

والعدل هو حكم بين اثنين أو أكثر والعدل مأمور به المسلم أما الحق فهو من أسماء وصفات الحق تعالى فقط.

ثانيًا: الظلم:

ولكي ندرك ونعي معنى العدل.. نأتي بعكسه والمضاد وهو (الظلم) .

الظلم هو: اغتصاب حق أو انتقاص حق عن طريق أو تحيز في عطاء أو حكم لطرف دون الآخر عن هوى.

١) **القهر**: وهو أن يكون الطرف الظالم هو الأقوى.. كذلك يكون غير متكافئ مع الطرف المظلوم الضعيف.

٢) **المكر**: بالسرقة الخفية في السرّ - وهذا ليس السرقة في المال بل في في الحقوق والآمانات...

٣) **الهوى أو المصلحة**: وهو الميل القلبي العاطفي.. أو شهوة العاطفة والهوى وهذا يكون إما للزوج أو الزوجة تفضيلهم على حق الأولاد أو العكس- أو تفضيل أحد الأولاد على الآخرين نتيجة مصلحة أو ميل عاطفي تجاه هذا الولد أو البنت، أولا يعدل بين نفسه وبين أهله .. الخ.

(أعدلوا بين أولادكم ولو في الابتسامة أمكنكم).

ثالثًا: ما هو الفرق بين الحق والعدل:

الحق: اسم من أسماء الذات.. وصفة للذات وكل ما يخرج منه فهو اسم ذاتي وصفاتي أي كل شيء حذر عن الحق أو منه تعالى فهو حق وحقيقة.

العدل: اسم من أسماء صفات وأفعال الله الحسنى خاص بصفة العدل في خلقه وبين مخلوقاته وعطائه تعالى.

وهو باطن في حال الدنيا - وظاهر في يوم الحساب في صورة الميزان، وهو رمز العدل والعدالة..

فالعدل هو المساواة والتعادل بين كفتي الميزان.

ولأهمية العدل وقيمته وضرورة تحقيقه في الحياة.. في المعاملات.. وحتى أيضًا مع النفس.. لهذه الأهمية نرى أن الله تعالى قد ذكر الميزان ثلاث مرات في سورة (الرحمن).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

الحق: عكسه .. باطل وحرام.

العدل: عكسه.. ظلم وغبن واغتصاب، وانتقاص.

شرف العدل:

١) اسم من أسماء صفات وأفعال الله الحسنى وليس أسما من أسماء ذاته تعالى:

ونلاحظ أنه مع أهمية الصدق والأمانة فإن اسم الصادق أو الصديق

أو الأمين ليست لله تعالى وإنما خاصة بالخلق أو البشر، أو ملائكة مثال الصادق الأمين.. لقب حضرة النبي الحبيب ﷺ.

الصدّيق.. سيدنا أبو بكر الصدّيق ﷺ.

الأمين كان لقب مصاحب لسيدنا جبريل عليه السلام فكان (أمين الوحي).

أما الله تعالى فهو الحق وحده لا شريك تبارك وتعالى.

٢) الإمام العادل: وهو أول السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظلّه.

٣) باب الولاية: لأن الولاية قدماها الصدق والإخلاص، ويداها هما العدل والتقوى [اعدلوا هو أقرب للتقوى].

٤) دولة الكفر قد تدوم إلى يوم الساعة.. أما دولة الظلم لا يمكن أن تدوم أكثر من ساعة.

٥) وضع الله سبحانه وتعالى في الآية الشريفة (العدل) قبل الإحسان والمعروف والبرّ، كذلك وضع (البغيّ) أي الظلم ضمن النهي عن الفحشاء والمنكر والسوء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠].

٦) جوائزه وعقابه مثل برّ وعقوق الوالدين. فهو معجّل في الدنيا قبل يوم الحساب، فالعدل جوائزه في الدنيا السلامة والأمن والأمانة.. ويأخذها المؤمن في الدنيا قبل جوائزه في الآخرة.

عار الظلم:

١) عدم الإيمان بالله وتنزيهه.. وذلك لارتكانه واعتماده واعتقاده في قوته وذكائه.. وبالقطع هذا إنسان غافل عن الله سبحانه وتعالى.. غافل عن أن الله هو السميع العليم والقدير والمحيط بكل شيء والمدبر لكل شيء والذي سوف يحاسبه على كل شيء وهذه الغفلة عن الله سبحانه وتعالى ينتج عنها الغفلة عن يوم الحساب.. وهذا كله أساسه النفاق والشرك الخفي.

غافل أن الله تعالى قادر عليه، قادر على الانتقام منه.. كل هذه الغفلة تدعوه إلى الظلم.

٢) سمّى الله تعالى الكفر والشرك بالظلم العظيم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، وكذلك سمّى الله تعالى المذنب والعاصي والفاجر بظالم نفسه أي أن اسم الظلم متعلق بالكفر والشرك والمعصية.

٣) قد يمهل الله الكافر إلى عذاب الآخرة. كذلك العاصي ينال عقابه في الآخرة.. أما الظالم فله عقابين في الدنيا والآخرة.

٤) سمح الله تعالى أن يتقبل دعوة المظلوم حتى ولو كان كافرًا.. وكان الظالم مؤمنًا.. وهذا يجعلنا نحاول تَفَهُّم وإدراك تحريم الله عز وجل الظلم على نفسه تعالى.. وكذلك جعله محرّمًا بين بني آدم، وأهمية أمر الله لنا.. فلا تظالموا.

٥) شرط الظلم أن يكون الظالم دائمًا في المركز الأقوى أي يكون مسئولاً عن أشخاص..

مثلاً في الأسرة: أب أو أم في العمل مدير أو رئيس.. أو أي مركز قوي. في التجارة والمعاملة.

٦) وأهمية الظلم.. أن الله خصّص سورة تتكلم عن الظلم في الميزان وهي سورة (المطففين) وكانوا يظلموا في الميزان وفي الكيل.. وهم قوم سيدنا شعيب عليه السلام ومع ذلك نالوا نفس عقاب الذين كانوا ظالمين بكفرهم مثل قوم نوح ولوط وعاد وفرعون وهكذا.

أنواع العدل:

١) العدل في حياتي: وذلك أن أعدل بين بدني وعملي، وبين نظري وسمعي وكلامي.. وبين دنياي وديني.. وأن أعطي كل ذي حق حقه..

مثلاً ألا يكون عملي على حساب بدني أو العكس صحيح.. كذلك أحرص أن يكون نظري وسمعي وكلامي فيما يرضى الله وفي كل ما هو حلال، حتى لا أكون ظالمًا لهم.

وأن يكون عملي.. الثلث لدنياي والثلثين للآخرة تطبيقًا لما قاله الله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٢) العدل في الأهل وبين الأولاد وعدم تفضيل أحدهم على الآخر والمساواة بينهم في كل شيء من عاطفة ورعاية وتعليم وتربية وهكذا.. فيما أتاح الله تعالى لك وعلى قدر اجتهادك.

٣) العدل فيمن أعول والمسئوليات. وحقوق العباد فإن حقوق العباد ومظالمهم تتعلق برقبة الظالم إلى وقوفه بين يديّ الله تعالى على الميزان يوم القيامة.

الوقاية والعلاج:

١) أن تتذكر أن الله أقدر عليك منك من قدرتك على غيرك.

٢) أن تتذكر أن عقوباته مُعَجَّلة ومؤجلة أي في الدنيا والآخرة.

٣) أن تحدد سلاح ظلمك

.. هل هو جاه وسلطان؟

.. هل هو مال وقوة؟

.. هل هو صلاحيات كصاحب القرار مثلا .

وبعد التحديد.. تذكَّر أن كل ذلك لا يدوم.. فالدوام لله تعالى وحده

حتى لو امتد بك العمر، وكنت بصحة جيدة لكن ستصبح بعد عمر ما كالطفل من حيث العقل والحركة وقوة البدن!!

٤) راجع نفسك مع العناصر الأربعة السابقة:

- ذكر الموت.
- الأنانية.
- الصدق.
- الأمانة.

٥) أن دينك.. دين الإسلام.. الدين الحنيف أساسه وأصله العدل أي الوسط المميز بين طرفين أو نقيضين فإذا ملت إلى طرف فقد تخرج عن العدل.. أي الوسطيّة.

فاللهم يا رب عاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك سبحانك أهل التقوى والمغفرة.

اللهم نعوذ برضاك من سخطك.

ونعوذ بعفوك من عقوبتك.

ونعوذ برحمتك من عدلك.

ونعوذ بجنتك من نارك.

ونعوذ بحنان جمالك من قهر جلالك.

ونعوذ بعافيتك من بلاءك.

ونعـوذ بحلمـك وسـترك الجميـل مـن عيوبنـا وذنوبنـا الكثـير منهـا والقليل.

ونعوذ بك منك لا نحصي ثناء عليك- أنت سبحانك كما أثنيـت عـلى نفسك بل أنت من أجل من أثنى عليك..

لك الحمد والثناء والمجد.. آمين.

سادسًا: الحياء والأدب

قال الله عز وجل:

- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦].
- ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥].
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [الحجرات: ١-٥].

وقال رسول الله ﷺ :

- «استحي من الله كما تستحي من رجل صالح في عشيرتك» [أو كما قال ﷺ].

- «الحياء شعبة من الإيمان - والحياء خير كله، وكله خير» [رواه الشيخان- وأحمد والنسائي» .

وقال أيضًا ﷺ :

- « الحياء والإيمان في قرن واحد، فإذا نزع الحياء تبعه الآخر » .

- « الاستحياء من الله أن: تحفظ الرأس وما وعي، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا.. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله تعالى» [رواه أحمد والترمذي].

وقيل: إن الرفق والحياء ما دخلا في شيء إلاّ زاناه وما خرجا من شيء إلا شاناه..

الحياء والأدب:

هما وجهان لشيء واحد.. بل هما اسمان وصفتان لشيء واحد هو حبّ الله تعالى مع الرجاء الدائم في واسع رحمته مع خشيته والحياء منه تعالى ففي الشرع يسمى الحياء من الله.

والحياء عند أهل الله المحبين يسمى الأدب مع الله.

فالحياء أدب، والأدب حياء، وكلاهما عنصر أساسي في مكارم الأخلاق وفي كل فعل وخلق جميل بينك وبين ربك في السرّ والعلانية والعادة والعبادة والقول والفعل والنية والخاطر.

معنى الحياء والأدب:

١) الحياء والأدب:

يعني اليقين والشعور ظاهرًا وباطنًا بمعية المولى الكريم معك.. وأنه حاضر معك لا يغيب بسمعه، وبصره، وعلمه، وإحاطته، وقدرته.

٢) الحياء والأدب:

وهو الفرار من الغفلة والمعصية سرًّا أو علنًا، واللجوء إلى الطاعة والتقوى ليس خوفًا من عذاب النار، وليس خوفًا أن تكتب عليك سيئات.. ولكن حياءً من أن يغضب الله تعالى منك ولا يسر بك فهو تعالى حبيبك ومولاك وهذا يؤدي بك دائمًا إلى الفرار من أي شيء لا يرضيه تعالى والإسراع والتسابق لكل شيء يحبه تعالى منك ويرضيه عنك.

٣) الخشية من الله:

وهي طريق لرضا الله تعالى- قال تبارك وتعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ .

أما الحياء من الله والأدب معه:

فهما طريقان لمحبته- قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]

- وهكذا يتضح لنا الفرق بين الخشية من الله وبين الحياء والأدب.

فالخشية من الله فيها شيء من الخوف من صفات وأسماء الجلال.. ومقامها الرضا أما الحياء من الله والأدب معه فهو التعلق بالذات من خلال صفات وأسماء الجمال ومقامها الحب والمحبة- وعناصرها أربعة عناصر هي كما نجدها في الآية الكريمة السابقة:

١) التواضع والرحمة مع المؤمنين .

٢) الكبرياء والعزة مع أهل الدنيا.

٣) جهاد النفس أو الروح في سبيل الله تعالى ومحبته.

٤) لا يستحى في أن يأخذ أو يأمر بالمعروف أو ينهي عن المنكر.

ومن المهم أيضًا توضيح الفرق بين الحياء من الله والأدب معه وبين الكسوف، فالكسوف أو الخجل ويكون دائمًا من الخلق - بمعنى أن أخجل منهم.. وأحاول دائمًا كسب رضاهم عني.. وأعمل حساب لهم وأخاف غضبهم عليّ.

وهذا للأسف ليس حياء ولكنه عدم ثقة بالنفس.. أو نوع من النفاق أو الجُبن أما الحياء من الله تعالى والأدب معه فهو أن أعمل حساب لله تعالى وأن أحرص دائمًا على مرضاته تعالى حتى لو غضب عليّ الناس لأن الله تعالى هو ربي وصاحبي وأنيسي، أخشاه تعالى، ولكنه حبيبي ومقصودي، أتقيه تعالى دائما ولكن أعشقه وأهواه في كل كلامه وما أمر به ونهاه.

الكلمة المضادة للحياء من الله:

وحتى ندرك معنى الكلمة نأتي دائمًا بالكلمة المضادة، عكس الحياء هو الفجور وعدم الأدب والإجرام. «إن لم تستح فافعل ما شئت» [رواه البخاري] فالفجور يؤدي إلى حجاب شديد يقع بين الإنسان وبين الله..

بالنسبة لله تعالى: فإن الشخص نجد أن فجوره يجعله ينسى وجود الله وبالتالي يرتكب الإثم والذنب والظلم.. ولا يبالي.. فهو لا يشعر بالله تعالى لأنه قد أسدل عليه حجاب البعد ولا يشعر بوجوده تعالى فهو في غفله دائمة ولذلك نجده يجهر ويتفاخر بالمعاصي والفجور.

أما بالنسبة للخلق: نجده دائمًا يحاول إيذاء الخلق سواء بالكلام أو المعاملات أو بأكل المال الحرام (السحت).. فأفعاله مع الخلق دائمًا أفعال ذميمة.

شرف الحياء والأدب:

١) باب شرف المعية الربانيّة - والمعية المحمديّة.

٢) باب شرف العبديّة وهي فوق العبودية وهو مقام أكمل من العبودية.

- العبدية هي: التبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله تعالى فهو عبدٌ لله.
- العبودية هي: أن يكون عابد ومؤدي للفروض.

٣) قال رسول الله ﷺ : «من استحى إختفى، ومن اختفى اتَّقى، ومن اتقى وقي»، وقال أيضًا ﷺ: «أنا جد كل تقي خفي» [أو كما قال ﷺ].

معنى خَفي: أن العبد المؤمن يخفى إيمانه وعباداته عن الخلق.. وهذا نابع من حياءه من الله تعالى.. وبالتالي يجنبه هذا الاختفاء ويقيه من الوقوع في ذلة الرياء والنفاق من الخلق في حالة مدح أعماله وعبادته وإيمانه.

٤) شرف الحب والمحبة والإحسان:

ومثلنا في هذا هو أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، كان الحبيب ﷺ يقول في حقه: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»، لقد كان ذو النورين ﷺ شديد الحياء من الله حتى إن الملائكة كانت تستحي منه.

عار الفجور وعدم الحياء وعدم الأدب:

١) الفجور في القرآن الكريم هو قمة الكفر والنفاق والشرك. لأن الفاجر - مجرم - والمجرمين فئة يقابلها المتقين وليس المؤمنين.

٢) قال حضرة النبي الحبيب ﷺ: «إذا أبغض الله عبدًا نزع منه الحياء».

« إن الله إذا أراد بعبد هلاكًا نزع منه الحياء » .

لأنه إذا سلب من العبد الحياء.. ارتكب ما شاء من المعاصي والذنوب والآثام دون أي إحساس.. وذلك لخروج الإيمان مع الحياء فورًا.

الوقاية والعلاج:

١) مراقبة الله تعالى وتنزيه صفاته.

٢) مراقبة نفسك وجوارحك.. يجب وضع حرس ومراقبة على الخواطر.. والنوايا.. والكلام.. والأفعال.

٣) تذكر دائمًا أن: الإيمان حياء.. والحياء أدب.. والأدب محبة ومعيّة.

لأنه تعلق مع التقدير والاحترام والتقديس.

مقامات المجاهدات الإيمانية السبعة وما يقابلها من العناصر السبعة لمكارم الأخلاق:

١) الاستغفار والتوبة .. ذكر الموت.

٢) الخوف والرجاء.. إيثار الغير مثل نفسك (قتل الأنانية).

٣) التوكل والتسليم .. صدق (من صدق توكله كان مؤمنًا حقًا).

٤) الصبر.. الأمانة.

٥) الشكر.. العدل.

٦) الرضا.. الخشية.

٧) الحب والمحبة.. الأدب والحياء.

سابعًا : الحب والمحبة

وسوف لا نتحدث عنها لأننا في قلوبنا وحضراتنا وكتبنا كلها حول هذا الموضوع تفصيلا وتوضيحا وحقيقة وشريعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

وصلوات الله تعالى وسلامه على سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين

وفي ختام هذا الفصل الخامس آخر فصول هذا الكتيب وقبل ختامه نقول: الله الله ... الله الله ...

الرجوع إلى الله حتم مقضيّ.. وفراق الأحبة وعدٌ مأتي..

الدنيا أولها ضعف وفتور.. وآخرها موت وقبور.

الدنيا خيال وما فيها زوال.. وتذكر دائمًا إنك إما تارك أو متروك.

وأسأل نفسك وقلبك وعملك وأحوالك:

هل ضيعتم الأوقات في اللهو والنسيان؟

وقطعتم الأيام بالغفلة والعصيان؟

واطمأننتم كمن آمن الندامة؟

ولهوتم لهو من لم يسمع بيوم القيامة؟

كأنكم إلى القبور لا تنظرون ومن مكانها لا تقتربون!!

فاعبد الله عاكفًا على بابه.. واقفًا على أعتابه خاضعًا لسلطانه.. راهبًا هيبته.. معترفًا بعجزك عن أداء واجباته.. متجردًا من رؤية نفسك وعملك قارعًا على باب عزته وجلاله بأكف ذُلِّك.. واحتقارك لنفسك.

موقنًا دائمًا بواسع رحمته.. وعظيم عفوه.. وقديم إحسانه.. وكريم آلاءه ومنته وتجرّد من حجاب الزوجة والولد والمال والحال.. ومن حجاب الأهل والآل ومن حجاب وجودك حتى من حجاب عبادتك.. حتى لو كانت بطول الجبال.

وأيضًا من حجاب يقظتك وغفلتك.

فإن رؤياك اليقظة غفلة عظمى.. ورؤياك نورك ظلمة كبرى، فافتح في قلبك بابًا إلى الرب المقصود، فهو تعالى هو إلهك الله المعبود.

والصاحب لك على الدوام الموجود معك فهو مطلق الوجود.

لا تنس مطلقًا ما قاله حضرة النبي الحبيب ﷺ :

« عش ما شئت فإنك ميت.. وأحبب ما شئت فإنك مفارقه. واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به » .

قال الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦].

فاربط قلبك بالله.. وأعرض عن غير الله، وسلّم أحوالك.. وأموالك.. وأهلك لله، وجدّد إيمانك بكثرة الاستغفار وذكر الله.. وصحح النيّة بإخلاصها لله، وجدّد نور محبتك بكثرة متابعتك واتباعك والصلاة على رسول الله، وادخل بحر المدد وحصن الحفظ بالتبرّؤ من حولك وقوتك إلى حول وقوة الله.

وحاول جاهدًا أن تكون من أهل الرضا بتحريك قلبك قبل لسانك بالحمد في كل حال لله والشكر لله .

وحاول جاهدًا أن تكون من أهل المحبة.. بملء قلبك بالحديث عن الله وبالله ومن الله ومع الله.

فإن أردت أن تعبد الله كأنك تراه..

فادخل في مقام الإحسان وحق اليقين بالله .

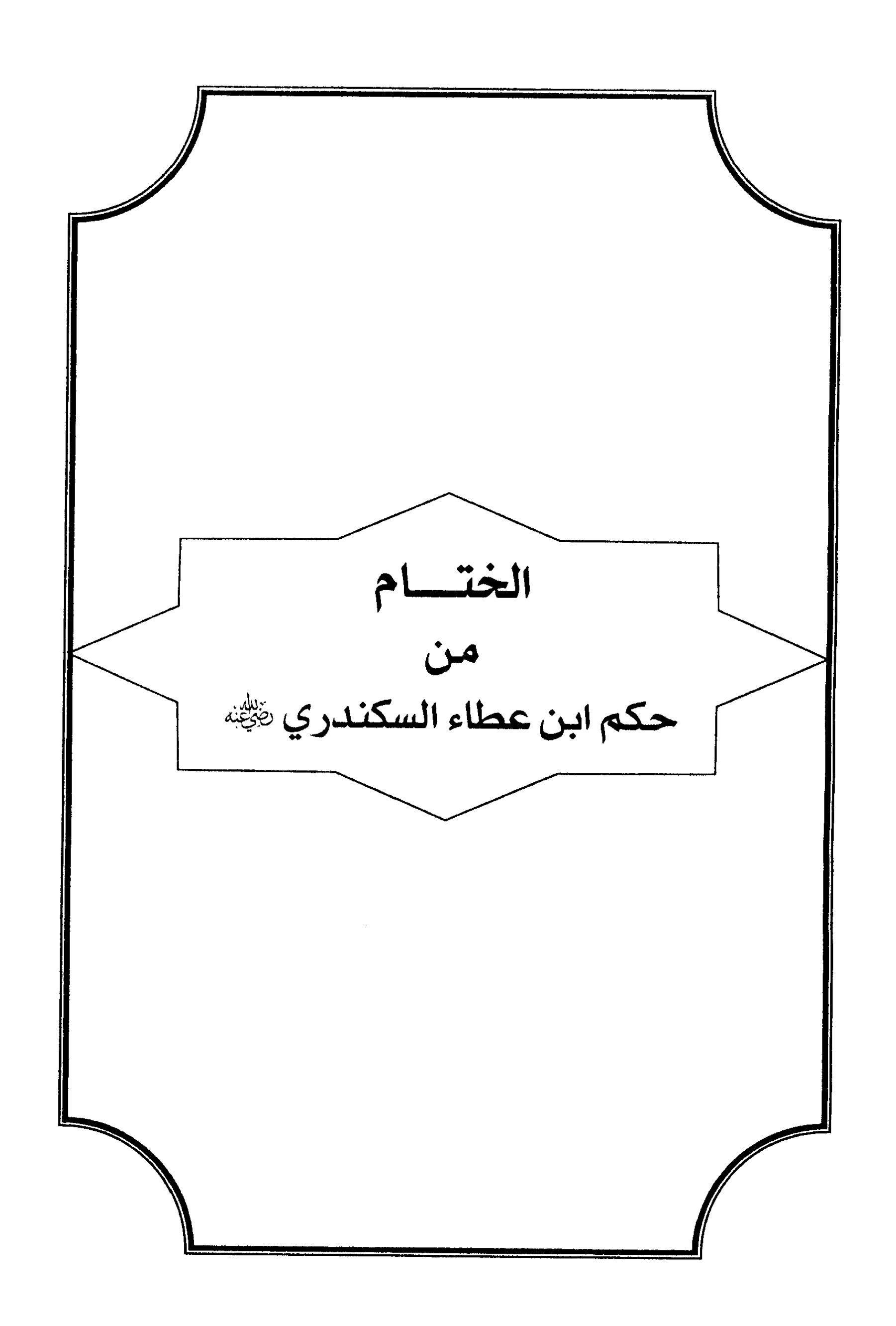
فإن أردت أن يكون حسبك ووكيلك هو الله..

فتوكل وفوض أمرك كله لله تعالى واستشفع في كل هذا بالحبيب المحبوب رسول الله ﷺ عند الله لله...

ودائمًا أبدًا فإن النعمة والمنّة والفضل من الله.

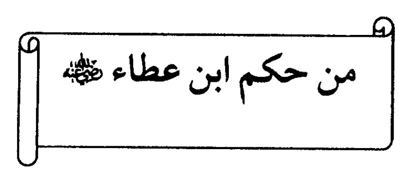
ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر وأتوب إلي الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، آمين.



الختـــام
من
حكم ابن عطاء السكندري رضي الله عنه





من حكم ابن عطاء رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين عليه وحده نتوكل وبه تعالى نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

لا إله لنا غيره.. ولا رب لنا سواه.. ولا نعبد إلا إياه.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله.

وصفيه وخليله وحبيبه ومصطفاه ﷺ وآله وصحبه وكل من أحبه واتبعه ووالاه.

بعد الجرعة السابقة المتنوعة المتضمنة للخمس فصول السابقة اخترنا أن يكون الختام من حكم أحد أولياء الله العارفين بالله المشهود لهم بالعلم والمعرفة والتحقيق في الشريعة والحقيقة على أساس من الكتاب والسنة الصحيحة كلها في جمل بسيطة ومقتصرة بأسلوب وشكل حكم غالية وثمينه في معناها ومبناها :

من حكم سيدي ابن عطاء الله:

الأولى: «من دلّك على العمل فقد أتعبك- ومَنْ دلّك على الله فقد أراحك».

١- العمل فرع لأصل هو النية والتوجه والقصد والهجرة.

٢) فإذا فقد العمل الأصل.. كان فرعًا تتقاذفه أمواج الشهوة.

فالاعتماد على العمل والنفس دون الاعتماد معها بالنية على رجاء الله تعالى في رحمته وتوفيقه وقبوله والقصد لوجه الكريم تعالى.

نجده ... إما إنجاز يؤدي إلى عُجْب وغرور وهلاك.

... وإما فشل يؤدي إلى يأس وقنوط وإحباط.

٣) فتمسَّك بالأصل وهو النية ثم اعمل واعمل واعمل.. مع خلوص النية لله تعالى وصحّح عملك بالإخلاص، وصحّح إخلاصك بالأخذ بالأسباب عملاً مع التوكل قلبًا على الله حق التوكل.. وهذا لا يأتي إلا بالتبرؤ من الحول والقوة إلى الله العلي العظيم.

٤) فمن بلغ الصدق في إسلامه.. لا يستطيع أن يمِلّ من العمل ولو كثر.

ومن بلغ الصدق في إيمانه.. مع عمله لا يستطيع أن ينشغل عن رحاب الله وتوفيقه وقبوله.

ومن بلغ الصدق في إحسانه.. لا يرى نفسه ولا عمله ولكن لا شيء سوى الحق تعالى.

٥) فخير العبد من قام بالعبودية للحق على بساط التحقيق..

وجمع بين العمل وهو ظاهر الشرع وبين النية والقلب وهي باطن الطريق وتأسى واتبع حضرة المصطفى ﷺ وأحبابه فقد حاز بالنور والصدق والتصديق.

واذكر وتذكر قول الله تعالى:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وأيضًا الحديث القدسي: عن أبي ذر الغفاري ﷺ :

قال ﷺ أو كما قال عن ربه عز وجل:

« يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا - يا عبادي.. كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم- يا

عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم - يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم - يا عبادي.. إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي..إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي.. لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك من مُلْكي شيئًا، يا عبادي.. لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمِس في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه». [رواه مسلم في صحيحه]

- اللهم عاملنا بما أنت أهله من واسع رحمتك وعظيم عفوك وقديم إحسانك ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك سبحانك أهل التقوى والعفو والمغفرة.

- اللهم أفردنا لما خلقتنا له ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به، ولا تحرمنا ونحن نسألك ولا تعذبنا ونحن نستغفرك.

- اللهم أكرمنا واجتبينا واهدنا، وارحمنا واسترنا واعف عنا وعافنا، ولا تفتنّا ولا تبتلينا، بل السلامة والعفو والعافية.

الثانية: «لا تَرْفَعَنّ إلى غيره حاجة هو قسَمَها لك أو عليك - كيف؟ ومَنْ لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها من غيره رافعًا، فاستغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون».

١) فحسن ظنك في ربك على الدوام، وعلى كل وفي كل الأحوال، سرّاء وضرّاء.

يخفف ألم البلاء عنك لعلمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك.

وهو في نفس الوقت سبحانه هو قديم الإحسان لك وعليك واللطيف معك وبك

(فَمَنْ أوجدك من العدم، وأمدك بالنعم، وخصّصك بالكرم، وجعلك مؤمنًا من غير سبب ولا قدم)؟!!!

أليس هو الله تعالى ربنا الكريم.

٢) الأخذ بالأسباب هو تحقيق لظاهر الشرع وركن من أركانه، والتوكل القلبي عليه هو تحقيق لباطن الشرع وركن من أركان الحقيقة والإيمان..

«فما توقف مطلب أنت طالبه بربك - ولا تيسّر مطلب أنت طالبه بنفسك - فما أدخلك الله فيه تولّي إعانتك عليه - وما دخلت فيه بنفسك وكلّك إليه» فإنما دعا عبده وحبيبه أن يدخله هو سبحانه ولا يدخل بنفسه - فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

فدخول الصدق وخروجه هو دائمًا بالله سبحانه وتعالى.

٣) فخير العبد من قام بالعبودية للحق على بساط التحقيق..

بمعنى أن يجمع العبد بين ظاهر الشرع بالأخذ بالأسباب وبين باطن الشرع..

أي: الحقيقة بالتوكل واليقين بالله تعالى.

من حكم سيدي ابن عطاء الله:

الثالثة: قال ﷺ:

١) مـن رأى نفسه أو رأى الكـون ولم يـشهده فيـه/ أو عنـده/ أو قبله/ أو بعده/ فقد أعوزه وجود الأنوار- وحجبت عنه شموس المعارف بسُحُب الآثار.

٢) فكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو ظهر من كل شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء.

وكيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء.

٣) فالعجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فلا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه..

ولكن أرحل من الأكوان إلى المكون، ومن الخلق إلى الخالق، ومن نفسك إلى ربك.

الرابعة: ١) تشوُّقك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوُّقك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

- **فالاشتغال بعيوبك حق الأدب، وطلب الغيوب طريق العطب.**
- فالاشتغال بعيوبك طريق للقربى ومكاشفة لأنوار الكمال، أما طلب الغيوب فقد يجرُّك إلى الضلال..
- فالاشتغال بعلاج العيوب أداء لحق الربوبية، وطلب الغيوب إهدار لحق العبودية.

٢) فكن طالبًا للاستقامة.. ولا تكن مستهدفًا لكرامة..

- فإن سوء نفسك تشغلك بطلب الكرامة.
- وربك تعالى ورسوله ﷺ يأمراك بالاستقامة.
- ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحق حظ نفسك.. حتى لا تكون كمن يطلب الله لنفسه.. وليس كمن يطلب نفسه لربه تعالى.

٣) ويساعدك في هذا لأن تخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف يناقض عبوديتك..

- فتصبح لنداء الحق مجيبًا ومن حضرته قريبًا.

- فاتهام النفس أصل كل طاعة وعفّة ويقظة.. وذلك فقط في عدم الرضا منك عنها مع الرضا عن ربك.

- واعلم إنك إن تصاحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه.. خير لك من أن تصاحب عالمًا يرضى عن نفسه.. فأيّ علم لعالم يرضى عن نفسه.. وأيّ جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه.

- فأسرع على بساط العبودية، واستعن بعطاء رحمة الربوبية.. وفي هذه الحالة طوبى لك. فحينئذ لن ترى إلا عيوبك ونقصك وعدمك.. وترى كمال وجلال وجمال نور ربك.

واعلم: أن به ومنه وحده تعالى التوفيق والهداية.. والإلهام والعناية.. والتحقق بنور الولاية.. ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾

من حكم سيدي بن عطاء الله:

الخامسة: [إن أردت أن تعرف قدرك عنده تعالى فانظر في ماذا يقيمك؟]

١) فإن وجَّهَك للدنيا فقد أهانك.

٢) وإن شغلك بالخلق عنه فقد أرهقك.

٣) وإن أصابك بالبلاء فقد أرادك.

٤) وإن صرف عنك الخلق فقد أدَّبك ولكن أراحك.

* * *

٥) وإن فتح عليك باب العلم دون العمل به فقد ألهاك.

٦) وإن فتح عليك باب الطاعة فقد هداك.

٧) وإن فتح عليك باب الذكر فقد أغناك.

٨) وإن فتح عليك باب المجاهدة فقد حباك.

٩) وإن فتح عليك باب الأدب معه فقد أدناك.

١٠) وإن فتح عليك باب الحب له فقد اجتباك.

* * *

١١) وإن فتح عليك باب خدمته بالعمل بالجوارح.. فقد أنعم عليك بالإسلام.

١٢) وإن فتح عليك باب خدمته بالعمل مع مجاهدة النفس.. فقد أنعم عليك بالتقوى والإيمان..

١٣) وإن فتح عليك باب الذكر ومتابعة وحب حبيبه ﷺ .. فقد أنعم عليك باليقين والإحسان.

- فإن المسلم يطيع ربه على قدر إسلامه.
- والمؤمن يتقي ربه على قدر إيمانه.
- والمحسن يحب ربه على قدر يقينه وإحسانه.

[فإن كنت في الظاهر ممتثلاً لأمره .. وفي الباطن مستسلمًا لقهره.. وفي قلبك متبرأً من الحول والقوة له تعالى.. فقد رضيت به ورضيت عنه.. وهنا فقد فتح لك باب الرضا منه تعالى].

وتنبه:

- فربما أعطاك فمنعك.. فتفرح بنفسك في الطاعة على أنك الفاعل فَتُحْجَب عنه تعالى.
- وربما منعك فأعطاك.. فتتهم نفسك دائمًا بالتقصير في الطاعة فيفتح عليك.
- فكل شيء في ظاهره نعمة.. يبعدك عن الله ويقربك إلى نفسك والخلق.. فهو نقمة.
- وكل شيء في ظاهره نقمة.. يقربك من الله تعالى ويؤيسك من سوء نفسك والخلق.. فهو نعمة.
- واحذر الاستدراج.. وأبعد قلبك عن نفسك ودنياك.. واملأ قلبك بحب حبيبه.. ورحمة ونور مولاه.

السادسة: - (الصبر باب الرضا، والشكر باب المحبة، وباطن الصبر التسليم، وباطن الشكر الذكر).

- (والإيمان يزيد وينقص وهو يعادل ما يسمى بعلم اليقين لأنه يتأثر سلبًا وإيجابًا بالنفس وما يحيط بها من متغيرات يتأثر بها العقل والجوارح.. والتي هي بمثابة النوافذ وأبواب النفس).

- (ولكن الإيمان يثبت فقط بمجرد دخول التقوى في القلب، فالتقوى مراقبة الحق بالحق، والتي تنقل القلب إلى عين اليقين فيزداد الإيمان إيمانًا ويثبت بلا شك ولا ريب.. وتبدأ أنوار عين اليقين.. كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد: ١٧].

- (ومدخل التقوى هو مراقبة ربك، وظاهرها هو دوام الشكر، وثمرته وقرينه هو دوام الذكر، وذلك هو مدخل مقام عين اليقين، والذي هو بساط الإحسان والمشاهدة للمحسنين).

- (والعائق الأكبر لشكر القلب هو التكبر.. بذكر نفسك لنفسك في أنك الفاعل وسبب كل النجاح والفلاح، فالمتكبر يرى نفسه فوق ما صنع وسبب كل ما فلح، فلا يشكر ولا يمتدح إلا نفسه..

أما الشاكر الصادق فيرى نفسه دون ما صنع ونجح.. فيشكر الفاعل الذي وفقه وهداه وهو ربه ومولاه).

- والمسلمون في الشكر على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

فرحَ بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها، بل بالفرح بها والتمتع والنظر إليها - قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ [الأنعام: ٤٤] وهؤلاء هم الغافلون.

القسم الثاني:

فرح بالمنن فشكر أنه شاهدها المنة، فسأل مَنْ أرسلها؟ .

كان الجواب هو المنّان.. وشهدها أيضًا نِعْمة، فسأل مَنْ أوصلها؟.ف

كان الجواب هو المنعم على يد الخلق..

فشكر الله في الباطن والحقيقة بالقلب والتقوى، وشكر الناس في الظاهر باللسان والشريعة - قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨] وهؤلاء هم المؤمنون المتقون الشاكرون.

القسم الثالث:

فرح بالله تعالى وأيقن أنه يتقلب في تجليات أسمائه الثلاثة: (المحسن، والمنعم، والمتفضل) فلم تشغله النعم مع استعمالها في ظاهر متعتها، بل

شغله النظر والتعلق بمهديها لا سواه.. وهو الحق في باطن منّتها، فعبَّر بالذكر عن الشكر، وبالشكر له تعالى بالذكر.. فانجمع قلبه على حب ذات مولاه.. فأصبح لا يشهد قلبه إلا إياه - قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] وهؤلاء هم أهل عين اليقين من المحسنين.

- لأن الإيمان إذا وصل ظاهر القلب ولم يدخل باطنه.. أحب المؤمن النعمة ورأى فيها نفسه والدنيا.

أما إذا وصل الإيمان إلى باطن القلب.. فلم يغفل أن النعمة ليست منه ولكنها تفضل وإحسان من المنّان تعالى فهجر هواه واحترس من نفسه ودنياه، وأصبح شاكرًا ذاكرًا لمولاه.

- فالمؤمنون هم أهل علم اليقين..

فإذا ارتقوا وأصبحوا مؤمنين حقًا كانوا من أهل عين اليقين.. فأصبح شغلهم الدائم هو الثناء على الله على أن يكونوا لأنفسهم شاكرين وأصبح شغلهم الدائم هو القيام بحقوق الله على أن يكونوا لحظوظ نفوسهم ذاكرين.

وهنا تنطبع صورة الحق في قلب هذا العبد فلا يرى بعين القلب إلا إياه تعالى.

وهنا يدخل العبد على بساط الاستقامة إلى أهل حق اليقين حيث يقين بلا نقصان بل زيادة.

- **والمسلم الطائع لمولاه:**

يعوقه عن الاستقامة ثلاث هي:

أولاً: خوف الخلق وهَمُّ الرزق وحب المجادلة.

ثانيًا: الرضا عن النفس وشكرها.

ثالثًا: عدم مجاهدة النفس.

- **والمؤمن المتَّقي:**

يعوقه عن الاستقامة ثلاثة هي:

أولاً: عدم العمل بما علم.

ثانيًا: انشغاله بعيوب الآخرين.

ثالثاً: الاستشراف والانشغال والانتظار للرؤى والكرامة.

- **أما المحسن المؤمن:**

فلا يقف بهمته على شيء دون الحق.

فإذا تبرَّجت له ظواهر المكونات بالكشف والشهود.. نادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر..

فيستغيث بقلبه الحق.. الحق.. فأنت ربي الله.. المراد والمطلوب.. وما دونك وما سواك فليس هو المقصود.

ففروا إلى الله...

فيا عبد الله انتبه..

وداوم على ذكره تعالى.. تكن من الشاكرين..

وداوم على شكره تعالى.. تكن من الذاكرين..

وهذا هو المعبر لتثبيت الإيمان بأن ترتقي من علم اليقين إلى عين اليقين.

وهذا هو بساط الاستقامة التي هي عين الكرامة، فتكون بالله له تعالى من المتقين ومن أهل الحسنى وزيادة من أهل عين وحق اليقين. آمين.

السابعة: من حكم سيدي ابن عطاء الله:

١) العمر عند أهل الدنيا يحسب بالأعوام.

والعمر عند أهل الله يحسب بالأنفاس والأعمال.

٢) الكيّس الذكي من عرف ربه فذكره وحمده وشكره في الرخاء..

والغافل المحجوب لا يعرف ربه ولا يذكره ولا يحمده ولا يشكره في الرخاء بل فقط عند البلاء.

٣) المال والبنون وزينة الدنيا هي من خزائن الله تعالى لأهل الدنيا.. وما سبق كله مع شرح الصدر والسعادة والرضا والعافية واليقين هي من خزائن الله تعالى لأهل الله والآخرة.

من مناجاته ﷺ في وقت السحر

إلهي.. أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيرًا في فقري.

إلهي.. أنا الجهول في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي.

إلهي.. وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي، أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي.

إلهي.. إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المِنّة عليّ.

.. وإن ظهرت المساوئ مني فبعدلك ولك الحجّة عليّ.

.. فكيف تكلني إلى نفسي وقد توكلت بك عليّ حتى تكون لي وليًا.

.. وكيف أضام وأنت الناصر لي، أم كيف أخيب وأنت ربي الحفيّ بي.

.. فليس لي ربُ سواك.. أنت إلهي وربي وراحمي ورحماني.

.. وملكي ومليكي، سبحانك أنت وليي ومولايّ، وسندي ومعتمدي.

.. وغوثي ورجائي، منك بك إليك أرفع تضرعي وضعفي ودعائي وبكائي.

إلهي .. ها أنا عبدك العديم الفاني أتوسل بفقري إليك..

.. ولا أعرف كيف أشكو إليك سوء نفسي وهي لا تَخْفَ عليك.

.. ولا أعرف كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز إليك.

إلهي .. ما ألطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي.

.. فما أقربك مني، وما أبعدني عنك، وما أرأفك بي، فما الذي يحجبني عنك، ربِّ كيف أعزم وأنت القاهر، وكيف لا أدعو وأنت الآمر، فاجمعني عليك بمنّة توصلني إليك.

إلهي.. عميت عين لا تراك قريبا أو عليها رقيبا أو بها لطيفا وكريما أو عنها عفوا غفارا ستيرًا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا.

إلهي .. علّمني من علمك المخزون، وصنّي بسرّ اسمك المصون.

.. واجعلني من أهل محبة واتباع وشفاعة ورفقة ومعيّة حبيبك المصطفى ﷺ بحق قَسَمكَ تعالى ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝﴾..

.. واسلك بي مسالك أهل الحب والقرب، واغنني بتدبيرك عن تدبيري، وأخرجني من داء نفسي، وطهرني من شكّي وشركي قبل حلول رمسي، واغنني بوجودك عن وجودي.. فماذا فَقَدَ مَنْ وَجَدَك، وماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَك..

لقد خاب من رضي دونك بدلا.. ولقد خسر من اختار غيرك بديلا.

إلهي .. بك أستنصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، وإليك أنيب فلا تبعدني، وإياك أسأل فلا تخيبني، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني،

ولجانبك أنتسب فلا تطردني، وببابك أقف فبرحمتك ومنّتك أدخلني، ربّ أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك وليًا، واجعل لي من لدنك نصيرًا..

.. فسبحانك أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك فبنور ذاتك عرفوك.

.. وأنت الذي أفنيت الأغيار عن قلوب أحبابك فبحبك لهم أحبوك بل عشقوك.

إلهي .. كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان.

.. وكيف يسأل غيرك وأنت ما بدلت الامتنان.

.. فأنت على الدوام الجواد قبل سؤال السائلين، والمعطاء قبل طلب الطالبين.. سبحانك الوهاب الكريم يا رب العالمين.

إلهي .. اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجتبيني بمنتك حتى أقبل عليك.

.. وأكرمني بإحسانك حتى أكون من أهل الرضا والحب والمشاهدة والمعيّة بك ومنك إليك وعليك..

إنك أنت ربي على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير غفرانك ربنا وإليك المصير..

.. سبحانك ليس كمثلك شيء وأنت الله أحد واحد فرد صمد السميع البصير، الودود القريب المجيب لا شريك لك، لا شريك لك، لا شريك لك.

.. وصلوات الله وسلامه ورحمته وحبه وبركاته..

.. على الحبيب المجتبى المصطفى مَنْ جعلته رحمتك للعالمين..

.. وشفيع الخلق يوم الدين، والإمام الهادي بنوره لقلوب المحبين..

.. سيدنا ومولانا محمد، وعلى أهل بيته وآله وأزواجه وذريته.

.. وكل الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار وكل من أحبه، واتبعه ووالاه من عبادك الصالحين وإيانا معهم يا رب العالمين.

آمين .. آمين.. آمين

والحمد لله رب العالمين

انتهى

فهرس





مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفاكس:٣٥٤٠٢٥٩٨ محمول:٠١٢٢٢٣٤٩٠١١